الاحتمالات التفسيرية التي زادها الماوردي على من قبله في تفسيره "النكت والعيون" دراسةٌ نظريةٌ تطبيقيةٌ

إعداد

د/ محمد سعيد أحمد ديغم

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

الاحتمالات التفسيرية التي زادها الماوردي على من قبله في تفسيره "النكت والعيون" دراسةٌ نظريةٌ تطبيقيةٌ

محمد سعيد أحمد ديغم

قسم التفسير وعلوم القرآن – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

البريد الإلكتروني : Mohamedsaid.2030@azhar.edu.eg

الملخص :

إن علم التفسير فنٌّ غنيٌّ عن أن يُشادَ بجلاله ويُشارَ إلى فضله وإلى الحاجة إليه؛ والإمام الماوردي رحمه الله –أبو الحسن علي ابن محمد ابن محمد بن حبيب البصري البغدادي– ،الشهير بالماوردي (ت:٤٥٠هـ) وكتابه "تفسير الماوردي = النكت والعيون" واحدٌ من هؤلاء الذين أوقفوا حياتهم على الاعتناء بكتاب الله تعالى، وممن أفنى عمره في خدمته وتعليمه؛ فنبغ في تفسيره وتفوق على ذويه، وأحد المفسرين الأوائل الذين جمعوا بين المنقول والمعقول؛ فتفسيره ثريٌ بالاجتهادات المنقولة وكذلك الاحتمالات التي تفرَّد بها بعد إيراده لأقوال من سبقه من المفسرين الذين اعتمد عليهم في تفسيره، ولِمَا للماوردي رحمه الله من باعٍ في عرض هذه الاحتمالات والتي تُعدُّ اجتهاداتٍ تفرَّد بها في عرضه لتفسير الآية فأردت التعرض في هذا البحث لهذه الاحتمالات التفسيرية التي أوردها الماوردي في تفسيره "النكت والعيون" للوقوف على مدى إثراء هذه المادة التفسيرية للمكتبة التفسيرية ولدراسة ما كان منها مقبولًا أو مردودًا .

وقد جاءت الدراسة لمناقشة هذه الاحتمالات ومدى إضافتها للمادة التفسيرية، والماوردي قد نصَّ على ذلك في تفسيره في مقدمته، ولذلك فإن تفسير الماوردي يُعد من أهم التفاسير جمعًا للأقوال، وكذلك جمعًا بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، وكثرة الاحتمالات التي أوردها الماوردي في تفسيره؛ جديرة بالدراسة للوقوف على مدى إثرائها للمادة التفسيرية، وهذه

الاحتمالات الواردة في تفسير الماوردي منها ما هو إضافة كبيرة، وهو كثير، ومنها ما هو مردودٌ بتعقب العلماء لهذه الاحتمالات، ومدى تحري الماوردي عند ذكر الاحتمالات، وقد أشار أنها مما سنح به الخاطر؛ فهو لم يجزم بقولٍ ولم يقطع باحتمالٍ.

الكلمات المفتاحية : الاحتمالات – التفسيرية – الماوردي – النكت – العيون.

The explanatory possibilities that Al-Mawardi added to those before him in his interpretation of "Jokes and Eyes" A Theoretical Applied Study

Muhammad Saeed Ahmad Degham
Department of Interpretation and Quranic Sciences - College of Islamic and Arabic Studies for Boys, Desouk
Email: Mohamedsaid.2030@azhar.edu.eg

Abstract:
The science of interpretation is an art that does not need to be praised for its majesty, and its merits and the need for it are indicated. And Imam Al-Mawardi, may God have mercy on him - Abu Al-Hassan Ali Ibn Muhammad Ibn Muhammad Ibn Habib Al-Basri Al-Baghdadi -, who is known as Al-Mawardi (d.: 450 AH) and his book "Tafsir Al-Mawardi = Jokes and Eyes" is one of those who set their lives on caring for the Book of God Almighty, and who spent his life serving it teach him; So he excelled in his interpretation and excelled over his relatives, and one of the first commentators who combined the transmitted and the reasonable. His interpretation is rich in the jurisprudence transmitted, as well as the possibilities that he was unique in after he mentioned the sayings of those who preceded him from among the commentators whom he relied on in his interpretation, and because Al-Mawardi, may God have mercy on him, was a seller in presenting these possibilities, which are considered jurisprudences that he was unique in presenting to interpret the verse. Al-Mawardi mentioned it in his interpretation of "jokes and eyes" in order to find out the extent to which this explanatory material enriched the interpretive library and to study

What was acceptable or unacceptable؟

The study came to discuss these possibilities and the extent to which they add to the explanatory material, and Al-Mawardi stipulated that in his interpretation in his introduction. It is worth studying to determine the extent to which it enriches the exegetical material, and these possibilities contained in the interpretation of al-Mawardi are a great addition, and it is many, and among them is what is attributed to the scholars following these possibilities, and the extent to which al-Mawardi investigated when mentioning the possibilities. He is

He did not say with certainty and did not cut off with possibility.

Keywords: Possibilities - Explanatory - Mawardi -Jokes-

Eyes.

المقدمة

الحمد لله الذى أرسل رسوله ليكون رحمةً للعالمين، وليخرجهم من الظلمات إلى النور، والصلاة والسلام على أشرف عباد الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا ، وبعد.

فقد كانت الإنسانية في ظلمة ظلماء، وجهالة جهلاء، فأرسل الله تعالى رسوله بالحق ليهديها إلى سعادة الداريْن وأنزل معه الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فالقرآن هداية الله للعالمين، وهو السعادة والنعمة الكاملة، وهو مأدبة الله وكلامه الذى لا تنقضي عجائبه، خير ما تفنى الأعمار لفهم معانيه، ومعرفة أحكامه ودراسة علومه، وأشرفها وأعظمها علم التفسير الذى به يتم فهم المراد وإصلاح العباد.

إنَّ علم التفسير فنٌّ غنيٌّ عن أن يُشادَ بجلاله ويُشارَ إلى فضله وإلى الحاجة إليه؛ لذا حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم، على توضيح ما غمض من معانى كتاب الله لأصحابه، وإن لم يفسر لهم كل القرآن؛ فقد كانوا يتحرجون من كثرة السؤال وكانوا يكتفون بالمعنى الإجمالي والفهم اللغوي بلفظ مختصر ومعرفة ما ظهر من أحكامه، ولم يلزموا أنفسهم بفهم كل معانى القرآن؛ لذا لم يظهر التفسير بشكل منتظم وشامل لكل آية.

وبعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم، بالرفيق الأعلى زاد اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بفهم كتاب الله ومعرفة تفسيره، فأكبوا عليه لدراسة ألفاظه واستخراج درره واستنباط أحكامه بقراءته، ومنهم من اهتم بأسباب نزوله... وكذا سائر علومه. كما اهتموا بتطبيقه تطبيقاً عملياً؛ فكانوا قمة في التقوى والورع والتجرد والإخلاص والعلم والعمل، حتى لكأن القرآن واقعًا يتحرك ومجتمعًا ينشر النور إلى الدنيا.

واقتفى التابعون من بعدهم آثارهم فأوقفوا حياتهم على الغوص في

معانى القرآن وإدراك مراميه.

والإمام الماوردي رحمه الله أبو الحسن علي ابن محمد ابن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت:٤٥٠هـ) وكتابه "تفسير الماوردي = النكت والعيون" واحدٌ من هؤلاء الذين أوقفوا حياتهم على الاعتناء بكتاب الله تعالى، وممن أفنى عمره في خدمته وتعليمه؛ فنبغ في تفسيره وتفوق على ذويه، وأحد المفسرين الأوائل الذين جمعوا بين المنقول والمعقول؛ فتفسيره ثريٌ بالاجتهادات المنقولة وكذلك الاحتمالات التي تفرَّد بها بعد إيراده لأقوال من سبقه من المفسرين الذين اعتمد عليهم في تفسيره، ولِمَا للماوردي رحمه الله من باعٍ في عرض هذه الاحتمالات والتي تُعدُّ اجتهاداتٍ تفرَّد بها في عرضه لتفسير الآية فأردت التعرض في هذا البحث لهذه الاحتمالات التفسيرية التي أوردها الماوردي في تفسيره "النكت والعيون" للوقوف على مدى إثراء هذه المادة التفسيرية للمكتبة التفسيرية ولدراسة ما كان منها مقبولًا أو مردودًا .

وأسميت هذا البحث "**الاحتمالات التفسيرية التي زادها الماوردي على مَن قبله في تفسيره " النكت والعيون" دراسةٌ نظريةٌ تطبيقيةٌ**".

وقد جاءت الدراسة لمناقشة هذه الاحتمالات ومدى إضافتها للمادة التفسيرية، والماوردي قد نصَّ على ذلك في تفسيره في مقدمته، **فقال:**" ولمَّا كان ظاهرُ الجلي مفهومًا بالتلاوة، وكان الغامض الخفي لا يعلم إلا من وجهين: نقل واجتهاد جعلت كتابي هذا مقصورًا على تأويل ما خفي علمه، وتفسير ما غمض تصوره وفهمه، وجعلته جامعًا بين أقاويل السلف والخلف، وموضحًا عن المؤتلف والمختلف، وذاكرًا ما سنح به الخاطر من معنى يحتمل، عبَّرت عنه بأنه محتمل، ليتميز ما قيل مما قلته ويعلم ما استخرج

مما استخرجته، وعدَلت عما ظهر معناه من فحواه اكتفاء بفهم قارئه وتصور تالية، ليكون أقرب مأخذًا وأسهل مطلبًا[١]".

وقد جاءت خطة هذا البحث كما يلي:-

أولًا: المقدمة، وتشتمل على أهمية الموضوع، وتمهيد لموضوع الدراسة.

ثانيًا: الفصل الأول: وفيه تعريف بالمفَسِّر والتفسير المعنيِّ به الدراسة.

ثالثًا: الفصل الثاني: وفيه الاحتمالات التفسيرية التي أوردها الإمام الماوردي، وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: الاحتمالات التي انفرد بها الماوردي.

المبحث الثاني: الاحتمالات التي وافق فيها المفسرون الماوردي.

المبحث الثالث : الاحتمالات التي خالف فيها المفسرون الماوردي.

والخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

وأخيرًا الفهارس.

أما عن منهج البحث :

- اعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي[٢]، وذلك لإبراز جهود الإمام الماوردي في احتمالاته.
- سلكت الطريقة القائمة على التمثيل؛ لا على الاستقصاء وهو ما يعرف بالاستقراء الناقص، وذلك لغزارة الأمثلة المتوفرة على الاحتمالات المتنوعة، الأمر الذى يتعذر معه الحصر والاستقصاء في هذا البحث.

---

(١) **ينظر**: النكت والعيون (٢١/١) .

(٢) **المنهج الوصفي:** وصف الظاهرة محل الدراسة وتشخيصها، وإلقاء الضوء على جوانبها المختلفة ، وجمع البيانات اللازمة عنها، مع فهمها وتحليلها من أجل الوصول إلى المبادئ والقوانين المتصلة بمجالات الحياة المختلفة. **ينظر**: طرق البحث العلمي، سعد عجيل مبارك الدراجي، وسعد إبراهيم الشويشين صـ(٤٧).

طريقة العمل فيه :

بالنسبة إلى الآيات، فسوف تُعْزى في المتن، بأن تذكر السورة التي وردت فيها الآية، ورقم الآية.

أما الأحاديث، فسوف تُخَرَّج في هوامش الصفحات، كما هي العادة ، ثم إنه في حال كان الحديث من مرويات الشيخين أو أحدهما؛ أكتفى بذكره، وإن كان في غير ذلك من كتب السنة أحيل إلى أشهر الكتب التي خرجته، مع الإشارة إلى درجة الحديث.

كذلك التعريف بالأعلام التي يحتاج إلى التعريف بها، أما ما لا يحتاج إلى ذلك، فلم أعرض له لأن تعريف المعرف ما ليس له فائدة تذكر.

وسأجعل في آخر الدراسةِ الفهارسَ الخاصة بالآيات، وتلك الخاصة بالأحاديث النبوي، ثم فهرس الأعلام التي ورد ذكرها، واحتيج فيها إلى تعريف أو إحالة، وتلاه فهرس المراجع والمصادر، وخُتم ذلك كله بفهرس الموضوعات.

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب:

أمَّا التمهيد ويحتوي على:

أولًا: أهمية هذه الدراسة، والدراسات السابقة.

تفسير الإمام الماوردي "الكنت والعيون" له أهمية كبيرة في المكتبة التفسيرية، حيث تعرض ما أورده الماوردي من احتمالات لم يُسبق إليها، ومدى تأثر المفسرين بهذه الاحتمالات التي شحذ فيه ذهنه وقاده اجتهاده إليها، ومدى قبول هذه الاحتمالات وردها من المفسرين الذين جاءوا بعده، ولذلك كانت هناك بعض الرسائل التي كتبت عليه، وهي:

١- منهج الإمام الماوردي في تفسيره، رسالة ماجستير للباحث/ بدر محمد الصميط – جامعة أم القرى عام ١٩٦٥م.

٢- ترجيحات الماوردي في تفسيره مجموعة رسائل علمية بكلية الدراسات

العليا –جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بالسودان عام ٢٠١٧ – ٢٠١٨م.

٣- القراءات القرآنية في تفسير الكنت والعيون للماوردي جمعًا ودراسةً رسالة دكتوراه للباحث/ إيما شعيب إدريس، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان، عام٢٠١٢م.

٤- الجهود البلاغية عند الإمام الماوردي ت:٤٠٥هـ في تفسيره "النكت والعيون" عرض ودراسة وموازنة، رسالة دكتوراه للباحث/محمد شيخ محمد النجار، بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة –جامعة الأزهر- ٢٠١٠م .

٥- مباحث في علوم القرآن الإمام الماوردي ت:٤٠٥هـ في تفسيره " النكت والعيون"، رسالة ماجستير للباحثة/ أسماء عباس جاسم، بكلية الآداب- قسم علوم القرآن – الجامعة الإسلامية والعربية ٢٠١٥م .

الفصل الأول: التعريف المفسر والتفسير المعنيِّ به الدراسة.

التعريف بالمفسِّر:

اسمه: علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي.

والماوردي بفتح الميم وسكون الألف وفتح الواو وسكون الرَّاء وفي آخرها دال مهملة هذه النسبة إلى بيع الماورد وعمله(١).

وممن تسمى بالماوردي:

١- أبو غالب : الماوردي محمد بن الحسن بن علي البصريّ(٢).

٢- محمد بن عبد الجبار بن فروخ أبو الحسن الماوردي(٣).

٣- إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة(٤).

---

(١) **ينظر**: طبقات المفسرين (٨٣/١)، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (١٥٣/٣).

(٢) **الماوردي**: هو محمد بن الحسن بن علي البصريّ، ولد في رمضان ببغداد، وله خمس وسبعون سنة. روى عن أبي علي التّستري، وأبي الحسن بن النّقور، وطبقتهما. وكان ناسخًا فاضلًا صالحًا. رحل إلى أصبهان، والكوفة، وكتب الكثير، توفي سنة : ٤٥٠هـ. **ينظر**: شذرات الذهب(١٢٥/٦) اللباب في تهذيب، والأنساب (١٥٦/٣-١٥٧)

(٣) **هو**: محمد بن عبد الجبار بن فروخ أبو الحسن الماوردي. المعلم، شيخ مقرئ متصدر مشهور، روى القراءة عرضًا عن إبراهيم بن خالد وأحمد بن الحسين الحريري. **ينظر**: غاية النهاية في طبقات القراء(١٥٨/٢).

(٤) **هو**: إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي أبو عبد الله البغدادي نفطويه النحوي ويقال له الماوردي صاحب التصانيف صدوق، قرأ على محمد بن عمرو بن عون الواسطي وكان عالمًا بمذهب داود الظاهري توفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ببغداد. **ينظر**: غاية النهاية في طبقات القراء (٢٥/١).

٤- الماوردية[١].

مولـــده: ولـد الإمـام المـاوردي بالبصـرة سـنة (٣٦٤هـ- ٩٧٤م)، ولم تكن له رحلات كثرة في طلب العلم، فقد سكن البصرة ، وخرج منها إلى بغداد مكرهًا ، وكانت له حلقة علم في لبصرة وبغداد، وما ذكرت كتب التراجم من رحلاته سوى رحلته إلى الشيخ أبي حامد الاسفراييني في بغداد[٢].

شيوخه :

١- عبد الواحد بن الحسين بن محمَّد القاضي أبو القاسم الصيمرى، أخذ عنه الفقه[٣].

٢- أَحمد بن محمد بن أَحْمد الاسفرايني، أخذ عن الفقه في بغداد[٤].

---

(١) **الماوردية:** كانت عجوزا صالحة من أهل البصرة تعظ النساء بها، وكانت تكتب وتقرأ، ومكثت خمسين سنة من عمرها لا تفطر نهارًا ولا تنام ليلًا، وتقتات بخبز الباقلا، وتأكل من التين اليابس لا الرطب، وشيئًا يسيرًا من العنب والزيت، وربما أكلت من اللحم اليسير، وحين توفيت تبع أهل البلد جنازتها ودفنت في مقابر الصالحين. **ينظر:** البداية والنهاية (١٣٤/١٢).

(٢) **ينظر:** سير أعلام النبلاء(٦٤/١٨) وطبقات الشافعية للسبكي(٢٦٧/٥)، وفيات الأعيان(٢٨٢/٣).

(٣) **هو:** عبد الواحد بن الحسين بن محمَّد القاضى أبو القاسم الصيمرى، والصيمرى بفتح الصَّاد المهملة وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفتح الميم وفى آخرها الرَّاء نزيل البصرة أحد أئمَّة المذهب، كان حافظًا للمذهب حسن التصانيف ومنها : الإيضاح في المذهب وله كتاب الكفاية وكتاب في القياس والعلل، توفى بعد سنة ٣٨٦. **ينظر:** طبقات الشافعية (٣٩/٣) شذرات الذهب(٢١٨/٥).

(٤) **هو:** أَحْمد بن مُحَمَّد بن أَحْمد الأسفرايني: الشيخ أبو حَامِد حافظ المذهب وإمامه جبل من جبال العلم منيع وحبر من أحبار الأمة، انتهت إليه رئاسة الدّين والدنيا ببغداد، روى الحديث عن الدارقطني وغيره ، وسمي بالشافعي الصغير توفي سنة ٤٠٥. **ينظر:** تاريخ بغداد (٣٨٦/٤) طبقات الشافعية (٦١/٤).

٣- الحسن بن علي بن محمد الجبلي، أخذ عنه الحديث[١].

٤- محمد بن المعلى الأزدي، أخذ عنه الحديث[٢].

٥- عبد الله بن محمد البخاري، أخذ عنه النحو والأدب[٣].

تلاميذه:

١- الخطيب البغدادي[٤].

٢- ابن خيرون، المعروف بابن الباقلاني[٥].

٣- أبو الفضل الهمذاني، المعروف بالمقدسي[٦]،

٤- أبو منصور القشيري[٧]، وغيرهم.

---

(١) **هو**: الحسن بن علي بن محمد الجبلي صاحب أبي خليفة الجمحي، أخذ عنه الحديث. **ينظر**: تاريخ بغداد (١١٠/١٢).

(٢)**هو**: محمد بن المعلى بن عبد الله أبو عبد الله الأسدي "الأزدي". النحوي اللغوي. معجم الأدباء (٢٦٤٨/٦).

(٣)**هو**: عبدالله البخاري، الشيخ الإمام أبو محمد الباقي، أخذ عنه الفقه، مات في المحرم رحمه الله، سنة ٣٩٨هـ. **ينظر**: طبقات الشافعية (٣١٩/٣) شذرات الذهب(١٥٢/٣).

(٤) **هو**: أبو بكر بن أحمد بن ثابت بن مهدي، أحد أعلام الحفاظ، ومهرة الحديث وأحد الأئمة المشهورين، توفي سنة : ٤٦٣هـ. **ينظر**: تاريخ بغداد (٢٣٣/٧)، لسان الميزان(٢٦٠/٤)

(٥) **هو**: أبو الفضل أحمد بن الحسين المعروف بابن الباقلاني: المتوفى سنة : ٤٨٨هـ. **ينظر**: البداية والنهاية(١٤٩/١٢)، ميزان الاعتدال(٩٢/١).

(٦) **هو**: عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد أبو الفضل الهمذاني، المعروف بالمقدسي، توفي سنة : ٤٨٩هـ. طبقات الشافعية للسبكي(١٦٢/٥)

(٧) **هو**: عبد الرحمن بن عبد الكريم بن هوازن، أبو منصور القشيري، أخذ عنه الحيث، الحيث، وتوفي سنة : ٤٨٢هـ، وغيرهم. **ينظر**: طبقات الشافعية للسبكي (١٠٥/٥)

ثناء العلماء عليه :

ذكر الخطيب أنه أحد أئمة أصحاب الوجوه، وكان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعيين وجعل إليه ولاية القضاء ببلدان كثيرة[١].

وكان رجلا عظيم القدر، مقدّما عند السلطان، أحد الأئمة، له التصانيف الحسان في كل فن من العلم[٢].

قال ابن السّبكي: وَكان إمامًا جليلًا رفيع الشأن له اليد الباسطة فِي المذهب والتفنن التَّام فِي سائر العلوم، ومما أُخذ على الماوري أنه معتزليٌ؛ والصحيح أنه ليس معتزليا، ولكنه يقول بالقدر فقط، وهي البلية التي غلبت على أهل البصرة[٣].

أهم مصادره في التفسير:

اعتمد الإمام الماوردي في تفسيره على مصادر متنوعة في شتى العلوم والمعارف، سيما الفقه واللغة والقراءات وعلوم القرآن كالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وغيرها من علوم القرآن، وعلم التاريخ والأخبار والسير.

لقد نقل الماوردي عن كثير من المفسرين، وأكثر من اعتمد في النقل عنه كثيرًا الإمام محمد بن جرير الطبري من تفسيره " جامع البيان عن تأويل أي الكتاب"[٤]، وكذلك الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم[٥]، وكذلك أبو أبو بكر النقاش[٦]، وأبو زكريا الفراء[١]، وأبو إسحاق الزجاج[٢]، ويحيى بن

---

(١) **ينظر**: تاريخ بغداد(٥٨٧/١٣).

(٢) **ينظر**: طبقات الشافعية (٢٦٧/٥).

(٣) **ينظر**: طبقات المفسرين للداوودي(٤٢٨/١).

(٤) **ينظر**: النكت العيون للماوردي (٦/١).

(٥) **ينظر**: السابق (١٧٧/٤).

(٦) **ينظر**: السابق (٢٦٦/١).

بن سلام[٣]، وينقل كذلك عن غيرهم، لكن هؤلاء هم أكثر من نقل عنهم.

وله مصادر في القراءات، وكذلك اللغة والنحو والشعر، وأيضًا الفقه، والحديث والأثر، والتاريخ والسير.

آثاره وفنونه:

لقد كان للإمام الماوردي آثارٌ في شتى الفنون ، فله في الفقه

١- الحاوي. ٢- الإقناع : وهو مختصرٌ للحاوي. ٣- كتاب البيوع. ٤- الكافي.

وله مؤلفات في السياسة:

١- الأحكام السلطانية. ٢- قوانين الوزارة وسياسة الملك. ٣- تسهيل النظر وتعجيل الظفر. ٤- نصيحة الملوك. ٥- التحفة الملوكية في الآداب السياسية.

وكذلك له مؤلفات في التفسير وعلوم القرآن

١- النكت والعيون وهو التفسير محل البحث والدراسة. ٢- الأمثال في القرآن.

وله مؤلفات في علوم أخرى

١- كتاب أدب القاضي. ٢-كتاب أعلام النبوة. ٣-كتاب في النحو. ٤- كتاب الأمثال والحكم. ٥- البغية العليا أو أدب الدنيا والدين. ٦- معرفة الفضائل. ٧- الرتبة في طلب الحسبة. ٨- أدب التكلم[٤].

=

(١) **ينظر**: السابق (٨٤/١).

(٢) **ينظر**: السابق (٥٥/١).

(٣) **ينظر**: السابق (٤٦٠/٣).

(٤) **ينظر**: كشف الظنون(٦٢٨/١)(٤٠١/١)، معجم الأدباء(٥٨/٣).

الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية التي كان يعيشها الإمام الماوردي:-

لقد عاش الإمام الماوردي من سنة ٣٦٤هـ إلى سنة ٤٥٠هـ، وهذه فترة حكم الدولة العباسية " حكم البويهين"

وقد كانت الحالة السياسية فيها صعف وتشتت وخلافة مسلوبة السلطان وتعصب مذهبي ممقوت من قبل الأمراء البهويهين حيث كانوا يدينون بالمذهب الشيعي، وطمع أعداء الإسلام بالأمة الإسلامية من كلِّ جانب[١] .

أما الحالة الاجتماعية؛ فلم تنفك عن الحالة السياسية؛ إذ هي قرينتها فمتى ساءت هذه ساءت تلك، ومتى حسنت الأولى حسنت الأخرى، وقد ضعفت الحالة الاجتماعية بالطبع وذلك نظرًا لما يأتي :

١- ضعف أهل السنة ومؤازرة المذهب الشيعي من قبل السلطان البويهي لها.

٢- ضعف هيبة السلطان وانتشار اللصوص وقاطعي الطريق في البلادوظهور حالات السلب والنهب.

٣- انشغال السلاطين والأمراء بالمفاخرة بالزينة والملابس والأبهة ، وعدم الانشغال بأمور الرعية[٢] .

أمَّا الحالة العلمية :-

فقد كانت الحركة العلمية في عهد الدولة العباسية قد بلغت أوجها واتسعت وانتشرت انتشارًا كبيرًا، فقد عقد المجالس والمناظرات بين العلماء في شتَّى العلوم والفنون، كذلك وجود المكتبات العلمية وغيرها وانتشر

(١) **ينظر**: دراسات في تاريخ الدولة العباسية(٩٣/١) د. حسن باشا.

(٢) **ينظر**: المصدر السابق(٩٧-٩٨).

التدوين وصناعة الورق لذلك.

أما عن الحالة العلمية في عصر المؤلف خاصة فقد استمرت النهضة والقوة العلمية حتى ضعفت في نهايتها ضعفًا شديدًا على يد هولاكو سنة ٦٥٠هـ، وقد زخر هذا العصر "عصر الماوردي" بجمهرة من العلماء والأدباء، فمنهم الثعلبي[١] صاحب تفسير" الكشف والبيان"، والعرائس في قصص الأنبياء (ت٤٢٧هـ) والواحدي[٢] صاحب البسيط والوسيط والوجيز في التفسير(ت: ٤٦٨هـ)، والإمام الدارقطني[٣] (ت:٣٨٥هـ) والحاكم النيسابوري [٤] صاحب المستدرك (ت: ٤٠٥هـ) وخلق كثير.

ولم تخل هذه الفترة من أخذ آراء العلماء والفقهاء في نوازل الأمور وما يستجد من مشكلات تتعلق بأحوال الرعية والبلاد.

---

(١) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي صاحب التفسير المشهور، والعرائس في قصص الأنبياء. كان أوحد زمانه في علم القرآن، عالماً بارعا في العربية، حافظًا موثقًا. مات سنة ٤٢٧هـ. **ينظر**: طبقات المفسرين للسيوطي(٢٨/١).

(٢) هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري. كان واحد عصره في التفسير لازم أبا إسحاق الثعلبي، وأخذ العربية عن أبي الحسن القهندزي، ودأب في العلوم، صنف التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز وأسباب النزول والمغازي والإعراب عن الإعراب وشرح الأسماء الحسنى وشرح ديوان المتنبي ونفي التحريف عن القرآن الشريف، مات سنة: ٤٦٨هـ. **ينظر**: طبقات المفسرين للسيوطي(٢٨/١).

(٣) هو: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الحافظ الشهير، صاحب السنن، وألف في القراءات كتابًا جليلًا لم يؤلف مثله وهو أول من وضع أبواب الأصول قبل الفرش. وتوفي سنة : ٣٨٥هـ **ينظر**: تاريخ بغداد(٣٤/١٢)، وتذكرة الحفاظ للذهبي(١٣٢/٣)، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري(١/ ٥٥٩).

(٤) هو: محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، الإمام الحافظ، الناقد العلامة، شيخ المحدثين، أبو عبد الله بن البيع الضبي الطهماني النيسابوري، الشافعي، صاحب التصانيف. وتوفي سنة: ٤٠٥هـ . **ينظر**: تاريخ بغداد (٥ / ٤٧٣)، وسير أعلام النبلاء(٥٧١/١٢).

ولقد تأثر الإمام الماوردي بكل ذلك فقد صعب عليه فراق البصرة بعدما تحول إلى بغداد مدينة العلم والخلافة، ورحل إلى شيخه أبي حامد الإسفراييني في طلب العلم[١] .

وفاته:

توفي الإمام الماوري يوم الثلاثاء سلخ ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة (٤٥٠)هـ ، ودفن يوم الأربعاء بمقبرة باب حرب[٢] ، وصلى عليه تلميذه النجيب الخطيب البغدادي في جامع المدينة، وقد بلغ من العمر ستًا وثمانين سنة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة[٣] .

بين يدي الدراسة" الاحتمال"

لا بدَّ من معرفة الاحتمال الذي هو أساس ما بنى عليه الماوردي احتمالاته، فهو لم يوردها قاطعًا القول في المسألة؛ بل يوردها لأنَّها ممَّا قد يدخل في فهم النص، ولا يتركها أيضًا، وعلى كلٍّ أذكر تعريف الاحتمال.

أولًا: الاحتمال لغةً: مصدر احتمل، ويطلق ويراد به الارتحال والتحول إلى موطنٍ آخر، واحتمل القوم ارتحلوا ، كما يطلق ويراد به الجواز والإمكان الذهني ، يقال : احتمل الأمر أن يكون كذا جاز، والشيء والأمر حمله وصابر عليه واحتمل أي: تغير لونه إذا غضب واستخفه الغضب، يقولون للغاضب: ما لك، وما احتملك[٤] .

---

(١) **ينظر**: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية "الدولة العباسة" للشيخ محمد الخضري بك(صـ ٢٦٠).

(٢) **ينظر**: طبقات الشافعية للسبكي(٢٦٩/٥).

(٣) **ينظر**: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي(١٠٢/١٢).

(٤) **ينظر**: المعجم الوسيط (١٩٩/١)" احتمل"، ومجمل اللغة (٢٥٢/١)" حمل".

والاحتمال: العفو والإغضاء وإتعاب النفس في الحسيات ونحو ذلك، وقد جاء استعمال لفظ "الاحتمال" في القرآن الكريم ويراد به ما عظُم من المأثم ، للدلالة على عظم الجناية وقبحها، قال تعالى:﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ١١٢ ﴾ **النساء:١١٢**

ويطلق ويراد به العفو عن المخطىء، والإغضاء عنه، يقال: احتمل ما كان منه أغضى عليه وعفا عنه[١] .

والاحتمال في الاصطلاح: هو في الأصل مصدر احتمل الشيءَ، بمعنى حملهُ، وهو افتعالٌ منه، ومعناه: أن هذا الحكم المذكورَ، قابل ومتهيءُ لأن يقال فيه بخلافِهِ، كاحتمالِ قبولِ الشهادة بغير لفظِ الشهادة، نحو، أعلمُ أو أَتحقق، أو أجزمُ، فإنَّه قابل للقول فيه بذلك[٢] .

ويُعرَّفُ الاحتمال : بما لا يكون تصور طرفيه كافيًا، بل يتردد الذهن في النسبة بينهما، ويراد به الإمكان الذهني[٣] .

وفي اصطلاح الفقهاء يستعمل بمعنى الوهم والجواز فيكون لازمًا، وبمعنى الاقتضاء والتضمين فيكون متعديًا، نحو يحتمل أن يكون كذا، واحتمل الحال وجوهًا كثيرةً[٤] .

(١) **ينظر**: المعجم الوسيط (١٩٩/١)" احتمل".
(٢) **ينظر**: شمس العلوم (١٥٨٩/٣)" الاحتمال".
(٣) **ينظر**: التعريفات للجرجاني (١٢/١)" الاحتمال".
(٤) **ينظر**: شمس العلوم (١٥٨٩/٣)" الاحتمال".

قاعدة " اللفظ إذا تطرق إليها الاحتمال كساها ثوب الإجمال وسقط بها الاستدلال "

وضابط هذه القاعدة : أنَّ المقصود بالاحتمال هنا : الاحتمالات المساوية حال تعذُّر حمل اللفظ على جميعها، ولا يوجد مرجِّحٌ يقويِّ واحدًا في نظر المفسِّر.

وقد عبَّر عنها الأصوليُّون بحكاية الحال بدل " اللفظ" وقالوا: إنَّ الاحتمال الذي يوجب الإجمال إنما هو الاحتمال المساوي أما المرجوح فلا[١] .

ولقد عرض الشاطبي[٢] في الموافقات كلامًا رائعًا حول الأسباب التي تجعل ما يُنقل في التفسير وكأنَّ الخلاف متأصّلٌ بين المفسرين، فقال: ومن الخلاف ما كان ظاهره الخلاف وليس في الحقيقة كذلك، وأكثر ما يقع ذلك في تفسير الكتاب والسنة، فتجد المفسرين ينقلون عن السلف في معاني ألفاظ الكتاب أقوالًا مختلفة في الظاهر، فإذا اعتبرتها وجدتها تتلاقى على العبارة كالمعنى الواحد، والأقوال إذا أمكن اجتماعها والقول بجميعها من غير إخلال بمقصد القائل، فلا يصح نقل الخلاف فيها عنه، ثمَّ عدَّ عشرة أسباب من الأسباب التي لا تجعل الخلاف ظاهرًا فقال:

١- يكون ذلك المنقول بعض ما يشمله اللفظ.

٢- أن يذكر في النقل أشياء تتفق في المعنى بحيث ترجع إلى معنى واحد.

---

(١) **ينظر**: الفروق للقرافي (٨٨/٢)، وقواعد التفسير لخالد السبت (٦٧٦/١).

(٢) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. من كتبه (الموافقات، و المجالس، والاعتصام)، توفي سنة:٧٩٠هـ. **ينظر**: نيل الابتهاج على هامش الديباج (٤٦ – ٥٠).

٣- أن يذكر أحد الأقوال على تفسير اللغة، ويذكر الآخر على التفسير المعنوي.

٤- أن يقع الخلاف في تنزيل المعنى الواحد، فيحمله قوم على المجاز مثلًا وقوم على الحقيقة، والمطلوب أمر واحد[١] .

وعلى هذا فقد يُحمل ما يذكره الإمام الماوردي في تفسيره من احتمالات فيكون من هذا القبيل؛ فلا يخرج عمَّا جاء به السلف أو المفسرين قبله، وقد يخرج عن ذلك وهذا ما يتضح في دراسة هذه الاحتمالات.

وقد تكلم الإمام الماوردي نفسه عن ضوابط الاجتهاد التي تجعله يُقدِّم قوله على قول غيره بلفظ الاحتمال، فيقول في مقدِّمته: أمَّا ما يرجع فيه إلى اجتهاد العلماء، فإنه ينقسم قسمين:

أحدهما: أن يكون مشتملًا على معنى واحد لا يتعداه، ومقصورًا عليه ولا يحتمل ما سواه، فيكون من المعاني الجلية والنصوص الظاهرة، التي يعلم مراد الله تعالى بها قطعا من صريح كلامه، وهذا

قسم لا يختلف حكمه ولا يلتبس تأويله.

والقسم الثاني: أن يكون اللفظ محتملًا لمعنيين أو أكثر فيحمل على الظاهر الجلي دون الباطن الخفي، إلا أن يقوم الدليل على أنَّ الجليَّ غيرُ مُرَادٍ، فيحمل على الخفي[٢] .

منهج الإمام الماوردي في تفسيره، وبيان جهوده

يُعدُّ تفسير الماوردي من التفاسير التحليلية حيث قام بتفسير سور القرآن الكريم حسب ترتيبها في المصحف، ويجمع بين الرواية والدراية في تفسيره؛ فيورد أسباب نزول الآيات التي لها أسباب نزول، وخاصة ما يتوقف

(١) **ينظر**: الموافقات للشاطبي (٥/٢١١-٢١٥).

(٢) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (١/ ٣٨ ، ٣٩).

عليها فهم معنى الآية، وشرح المفردات التي تحتاج إلى بيان للمعنى، أو التي اختلف المفسرون فيها، فذكروا لها أكثر من معنى، كما أورد القراءات الواردة في بعض الآيات ووجهها، وبين الأحكام الفقهية المستفادة من آيات الأحكام.

وأذكر ذلك تفصيلًا:

١- يذكر الآية، ثم يورد سبب النزول، إن كان لها سبب أو أكثر من سبب، ولا يرجِّح بينها، ولا يهتم صحة ما يذكره من روايات[١] .

٢- يحصر الماوردي الأقوال في تفسير الآية، ثم يوردها مفصلة الأول فالثاني فالثالث...الخ وينسب غالبًا كل قول إلى قائله، ويرجح أحيانًا، ولم يلتزم بعبارة محددة للتعبير عن الأقوال.

٣- العناية بالقراءات القرآنية وتوجيهها، فيذكر متواترها وشاذها، وينسب القراءة إلى صاحبها كـ " قرأ حمزة وابن كثير"، لكنه لا يشير إلى مصادر نقله هذه القراءة[٢] .

٤- ينقل الماوردي أقوال السلف من الصحابة كابن عباس وأبي بن كعب وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم، وعن التابعين كمجاهد والحسن البصري وقتادة وعطاء بن أبي رباح، كما ينقل عن أتباع التابعين كالكلبي ومقاتل بن سليمان وسفيان الثوري وغيرهم[٣] .

٥- اعتمد الماوردي على أقوال بعض المفسرين ممن جاء بعد جيل أتباع التابعين، فينقل أقوال محمد بن جرير الطبري، وأبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني، وعبد الرحمن بن كيسان الأصم وغيرهم. ينقل

---

(١) **ينظر**: المصدر السابق (٤٠٥/١).

(٢) **ينظر**: المصدر السابق (٢١٩/٦).

(٣) **ينظر**: المصدر السابق (٢٧٦/٦)

الماوردي أقوال أهل اللغة والنحاة، فيكثر النقل عن الفراء، والأخفش، وأبي عبيدة، ومعمر ابن المثنى، والزجاج، وثعلب، والمبرد. ويورد شواهد من أشعار العرب على الألفاظ الغريبة[١] .

٦- ينقل تفسيرات إشارية عن "بعض المتصوفة[٢] " ومن سماهم بـ "أصحاب الخواطر[٣] "، و"المتعمقين في غوامض المعاني، ويعلّق عليها أحيانًا[٤] . [٥]

٧- ينقل بعض الإجماعات في تفسيره، لكنه مقلٌّ في ذلك، ويعبِّر عنها بعبارات منها: "وهذا إجماع[٦] ، وأجمع أهل العلم[٧] ، وباتفاق[٨].[٩]

وللإمام الماوردي منهجٌ في ذكر الاحتمالات في تفسيره:

١- ترك تفسير الآيات ظاهرة المعنى من التلاوة، قال:" وعدلت عما ظهر معناه من فحواه اكتفاء بفهم قارئه وتصور تالية، ليكون أقرب مأخذًا وأسهل مطلبًا"[١٠] .

---

(١) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٣١٨/٤).

(٢) **ينظر**: المصدر السابق (٤٠٥/٣).

(٣) **ينظر**: المصدر السابق (٢٧٦/٦).

(٤) **ينظر**: المصدر السابق(٥٩/٤).

(٥) **ينظر**: المصدر السابق (٣٦٤/٢).

(٦) **ينظر**: المصدر السابق (٣٦٤/٢).

(٧) **ينظر**: المصدر السابق (٣٤١/٢).

(٨) **ينظر**: المصدر السابق نفسه.

(٩) **ينظر**: المصدر السابق نفسه.

(١٠) **ينظر**: المصدر السابق (٤١٢/٤).

٢- الاقتصار على ما غمض معناه وخفي، قال:" جعلت كتابي هذا مقصورا على تأويل ما خفي علمه، وتفسير ما غمض تصوره وفهمه"[١] ، وذلك يمرُّ ببعض الآيات دون تفسير.

٣- الاعتماد في النقل عمن سبقه من المفسرين، فينقل عن الصحابة التابعين وتابعيهم، وأيضًا عمن جاء بعدهم، قال:" وجعلته جامعاً بين أقاويل السلف والخلف"[٢] .

٤- الاجتهاد في ذكر معانٍ جديدةٍ لم يسبق إليها أحد قبله، إلا عزاها إلى قائليها، وقد عبَّر عن ذلك بقوله:" وذاكراً ما سنح به الخاطر من معنى يحتمل، عبرت عنه بأنه محتمل، ليتميز ما قيل مما قلته ويعلم ما استخرج مما استخرجته"[٣] .

وبهذا يتبين أنه عندما يورد احتمالًا فإنَّه من اجتهاده ، وهو بهذا لا يجد مناصًا من الاجتهاد واستعمال اللفظ فيما هو سائغٌ، وإن لم يجد نقلًا في ذلك ، فيقول:" وإذا كان القرآن بهذه المنزلة من الإعجاز في نظمه ومعانيه، احتاجت ألفاظه في استخراج معانيها إلى زيادة التأمل لها وفضل الرويَّة فيها، ولا يقتصر فيها على أوائل البديهة، ولا يقنع فيها بمبادئ الفكرة، ليصل بمبالغة الاجتهاد وإمعان النظر إلى جميع ما تضمنته ألفاظه من المعاني واحتملته من التأويل، لأنَّ الكلام الجامع وجوهاً، قد تظهر تارة، وتغمض أخرى، وإن كان كلام الله منزها من الآفتين: الفكر والروية، ليعمل

(١) **ينظر**: المصدر السابق (٥٠٨/٢).

(٢) **ينظر**: المصدر السابق (٢١/١).

(٣) **ينظر**: المصدر السابق نفسه.

فيما احتمله ألفاظه من المعاني المختلفة، غير ما سنصفه من الأصل المعتبر في اختلاف التأويل عند احتمال وجوده"[١] .

وقد شنَّع على من ترك الاجتهاد وفهم النصوص على ظاهرها دون إعمال عقلٍ وفهمٍ لما قد يحتمله النَّصُّ، فذكر حديثًا عن جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ قَالَ: فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ، فَقَدْ أَخْطَأَ[٢] " فتمسك فيه بعض المتورعة ممن قلت في العلم طبقته، وضعفت فيه خبرته، واستعمل هذا الحديث على ظاهره وامتنع أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده، عند وضوح شواهده، إلا أن يرد بها نقل صحيح، ويدل عليها نص صريح، وهذا عدول عما تعبّد الله تعالى به خلقه في خطابهم بلسان عربي مبين . ولهذا الحديث – إن صح – تأويل، معناه: أن من حمل القرآن على رأيه، ولم يعمل على شواهد ألفاظه، فأصاب الحق، فقد أخطأ الدليل[٣] .

(١) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٣٤/١).

(٢) رواه أبو داوود(٢٣٠/٣) والترمذي(٢٠٠/٥) والنسائي(٢٨٦/٧) والطبراني في الأوسط(٢٠٨/٥) والبيهقي في شعب الإيمان(٥٤٠/٣) والطبري(٣٥/١) والبغوي(٢٥٩/١)، وضعفه الترمذي في سننه وقال: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم. قال الحافظ في التقريب: " ضعيف" (٣٣٨/١) .

(٣) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٣٣/١، ٣٥).

الفصل الثاني: وفيه الاحتمالات التفسيرية التي أوردها الإمام الماوردي، وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: الاحتمالات التي انفرد بها الماوردي.

المبحث الثاني: الاحتمالات التي وافق فيها المفسرون الماوردي.

المبحث الثالث : الاحتمالات التي خالف فيها المفسرون الماوردي.

المبحث الأول: الاحتمالات التي انفرد بها الماوردي.

تفسير النكت والعيون للإمام الماوردي يكاد لا يمرُّ بآية إلا ويذكر احتمالًا فيها؛ مما يدلُّ على كثرة ورود الاحتمالات التي يوردها في تفسيره، وهذا يدلُّنا على مدى اجتهاده وإثرائه للمادة التفسيرية، فلم يقتصر في ذكر تفسير الآية على ذكره السلف قبله من معاني، بل يدلي بدلوه ويذكر ما فتح الله له من اجتهادٍ في التفسير، وآن لي أن أذكر بعض ما ذكره من احتمالات، فأقول وبالله التوفيق:

١- **قال تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ **البقرة: ١٤٦**

فقد أورد الماوردي احتمالين في قوله تعالى: "وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ " : فقال : يحتمل وجهين: **أحدهما:** يعلمون أنه حقٌّ متبوعٌ. **والثاني:** يعلمون ما عليه من العقاب المستحق[١] .

دراسة الاحتمال:

لم يُسبق الإمام الماوردي إلى هذا الاحتمال، وهو المراد بمتعلق العلم، وهل هو اتباع الحق أم العقاب المستحق على كتمان العلم؟.

وقد ذكر قولين في معنى " لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ "؛ فقال: فيه قولان: **أحدهما:** أنَّ الحق هو استقبال الكعبة. **والثاني:** أنَّ الحق محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا قول مجاهد وقتادة[٢] .

(١) **ينظر**: النكت والعيون (٢٠٥/١).

(٢) **ينظر**: جامع البيان للطبري(١٨٩/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢٥٦/١).

فبعد أن أورد معنى كتمان الحق، بيَّن العلم به، والعلم بهذا الحق الذي هو استقبال القبلة أو النبي صلى الله عليه وسلم، والعلم به أنه متبوعٌ من حيث هو حقٌّ مأمور به، وبذلك يتحملون وزر كتمان الحق وهم يعلمونه، فيكون ذلك أعظم في الحجة وأبلغ في الزجر.

أو أنهم كتموا الحق الذي هو استقبال القبلة، أو النبي صلى الله عليه وسلم، وهم يعلمون عاقبة من علم الحق فكتمه، وما أداه لقوله إلا اتساع دلالة لفظ "يعلمون" فأورد احتمالاه لذلك، وسبق الحديث عن تحويل القبلة، والحديث عن معرفة أهل الكتب بالنبي صلى الله عله وسلم، وهم ما داموا يعرفونه حق المعرفة فلا بد أن يؤمنوا بما جاء به، لأنهم يعلمون أنه حق ويعلمون عاقبة كتمانه، وقد ذكر الطبري[1] فقال:" ليكتمونَ الحق وهم يعلمون"، أنْ لَيس لَهم كتمانه، فيتعمَّدون معصية الله

تعالى، ويكتمون محمدًا صلى الله عليه وسلم وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل[2] .

قال أبو حيان[3]: وجملة "وهم يعلمون": جملة حالية، أي عالمين بأنه حق، ويقرب أن يكون حالًا مؤكدة، لأنَّ لفظ يكتمون الحق يدل على علمه

---

(١) **هو**: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق أحد الائمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظًا لكتاب الله، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، ومن كتبه: "جامع البيان في التفسير"، و"تاريخ الأمم"، و"كتاب القراءات" وتوفي سنة:٣١٠هـ. **ينظر**: تذكرة الحفاظ (٣٥١/٢)، وطبقات المفسرين للسيوطي(٩٥/١، ٩٦).

(٢) **ينظر**: جامع البيان للطبري(١٨٩/٣).

(٣)**هو**: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجياني، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. من كتبه: "البحر المحيط في التفسير"، و"منهج السالك في الكلام على ألفية ابن =

به، لأنَّ الكتم: هو إخفاءٌ لما يُعلَم. وقيل: متعلق العلم هو ما على الكاتم من العقاب، أي وهم يعلمون العقاب المرتب على كاتم الحق، فيكون إذ ذاك حالًا مبيِّنة[١] .

قال الألوسي[٢] : وهذه الجملة عطف على ما تقدم من عطف الخاص على العام، وفائدته تخصيص من عاند وكتم بالذم، واستثناء من آمن وأظهر علمه عن حكم الكتمان[٣] .

وأقول: هذان الاحتمالان متعانقان؛ بمعنى أنهم ما داموا يعلمون أنه حقٌّ متبع، ولفظة "الحق" توحي باتباع هذا الحق فهم يعاندون، ويعلمون العقاب المستوجب لترك الحق والعمل به، وعلى هذا يكون تفصيل الماوردي لمتعلق العلم، هو تفصيل لمجملٍ يحتمله اللفظ، ولا منافاة بينهما أو القول بأحدهما.

=

مالك"، و"تحفة الأريب" في غريب القرآن"، وتوفي سنة: ٧٤٥هـ. **ينظر**: بغية الوعاة صـ(١٢١)، وطبقات السبكي (٦/ ٣١ – ٤٤)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢٨٧/٢).

(١) **ينظر**: البحر المحيط لأبي حيان(٣٤/٢).

(٢) محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي ، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، من كتبه: "روح المعاني" في التفسير، و"دقائق التفسير"، و"المقامات في التصوف"، وتوفي سنة:١٢٧٠هـ. **ينظر**: أعلام العراق صـ(٢١) وجلاء العينين صـ(٢٧ ، ٢٨)، والمسك الأذفر صـ(٥)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (صـ٦٦٥).

(٣) **ينظر**: روح المعاني للألوسي(٤١٢/١)

٢- **قوله تعالى:** ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ **البقرة: ١٤٩**

قال الماوري عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ يحتمل وجهين: **أحدهما:** أن يقول ذلك ترغيبًا لهم في الخير. **والثاني:** تحذيرًا من المخالفة[١] .

دراسة الاحتمال:

هنا ذكر الماوردي احتمالين أحدهما ترغيبًا، والآخر تحذيرًا، والتعبير بالغفلة دائمًا يأتي في سياق التحذير والترهيب، ولكن قد ذكر الطبري عند هذه الآية معنى الإحصاء والمجازاة، والمجازاة تقتضي الإثابة وتقتضي العقوبة، فيكون ذلك ترغيبًا وتحذيرًا معًا، فقال: "فإنَّ الله تعالى ذكره لَيس بساهٍ عن أعمالكم، ولا بغافل عنها، ولكنه محصيها لكم، حتى يجازيكم بها يوم القيامة[٢] ".

قال أبو حيان:" والذي يظهر أنَّ أمر استقبال القبلة أنه تعبُّدٌ محضٌ، فلم يبق في ذلك إلا امتثال ما أمر الله به، فأخبر تعالى أنه لا يغفل عن أعمالكم، بل هو المطلع عليها، المجازي بالثواب من امتثل أمره، وبالعقاب من خالفه[٣] .

(١) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٢٠٦/١، ٢٠٧).

(٢) **ينظر**: جامع البيان للطبري (١٩٨/٣).

(٣) **ينظر**: البحر المحيط لأبي حيان (٣٩/٢)

قال الألوسي: أي: يجازيكم بذلك أحسن الجزاء فهو وعيد للمؤمنين، وذلك على قراءة "تعلمون" بصيغة الخطاب، وقرىء- يعملون[١]- على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين، والجملة عطف على ما قبلها وهما اعتراض للتأكيد[٢] .

قال الخازن[٣] : ليس هو بساه عن أعمالكم، ولكنه محصيها لكم، وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة[٤] .

وهو بذلك موافق لما قاله الماوردي.

والذي يؤكد كلا الاحتمالين أنَّ الآية السابقة لهذه الآية تدعوا إلى الاستباق إلى فعل الخير، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ **البقرة: ١٤٨** ، وهذه الآية تدعو إلى اتباع القبلة حيث يكون الخروج، وهو الحق؛ فلا تتركوا اتباع الحق، وهو تحذيرٌ لهم من المخالفة للأمر، فيكون ما أورده الماوردي محتملًا لكلا المعنيين.

---

(١) قرأ أبو عمرو بياء الغيب وافقه اليزيدي، والباقون بالخطاب. **ينظر**: النشر في القراءات العشر لان الجزر (٢/٢٢٣)، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي(١/١٩٥).

(٢) **ينظر**: تفسير روح المعاني للألوسي (١/٤١٥).

(٣) **هو**: علي بن محمد بن إبراهيم الشيحيّ علاء الدين المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. ومن كتبه: "لباب التأويل في معاني التنزيل" في التفسير، و"عدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام" في فروع الشافعية، و" مقبول المنقول" في الحديث، وتوفي سنة: ٧٤١ هـ . **ينظر**: الدرر الكامنة(٣/٩٧)، وطبقات المفسرين للأدنه وي(١/١٥٠).

(٤) **ينظر**: لباب التأويل للخازن(١/٩١).

ومعنى الوعيد في كلام الألوسي: أنَّ المؤمنين يعاقبهم الله على ترك الأمر، وبمفهوم المخالفة إن أتوا بما أمرهم الله به فإنه يجازيهم أحسن الجزاء، وهذا يكون احتمالا الماوردي في محلّهما.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ **الأنعام: ٣٤**

قال الماوردي: ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ يحتمل أربعة تأويلات:

أحدها: معناه لا مُبطِل لحُجَّتِهِ ولا دافع لبرهانه.

والثاني: معناه لا رَادَّ لأمره فيما قضاه من نصر أوليائه، وأوجبه من هلاك أعدائه.

والثالث: معناه لا تكذيب لخبره فيما حكاه من نصر مَنْ نُصِرَ وهلاك مَنْ أُهْلِكَ.

والرابع: معناه لا يشتبه ما تخرّصه الكاذبون عليه بما بلَّغه الأنبياء عنه[١] .

دراسة الاحتمال:

أورد الماوردي هنا أربع احتمالات في بيان معنى " كلمات الله" وقد ذهب المفسرون إلى أنَّ المراد بها: ما وعد الله عز وجل به فلا يقدر أحدٌ أن يدفعه، لا ناقض لحكمه، ولا خلف لوعده بالنصر لرسله وأنبيائه، ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ **الصافات: ١٧١**، وقوله ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ ﴾ **المجادلة: ٢١** [٢] .

---

(١) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي(١٠٨/٢).

(٢) **ينظر**: الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي(٤١٧/٦)، ومعالم التنزيل للبغوي =

أو أنها: ما أخبر به وما أمر به، والإخبار والأوامر من كلمات الله فلا يخلف الله وعده ولا يغلب أولياءَه أحَدٌ[١] .

وذهب بعضهم إلى أنَّ معنى الكلمات: الآيات التي ورد الإخبار بها بالنصر للأولياء والهلاك للكفار في القرآن الكريم وأنَّ الله تعهد بحفظ القرآن؛ فلا يناله تبديل، ومنا ما أخبر به رسله[٢]، أي: لما أخبر به وما أمر به والإخبار والأوامر من كلمات الله، واقتصر ابن عطية على بعض ما.

قال أبو حيان: المعنى لا يقدر أحد على تبديل كلمات الله وإن زخرف واجتهد، لأنه تعالى صانه برصين اللفظ وقويم المعنى أن يخلط بكلام أهل الزيغ. وقيل: اللفظ خبر والمعنى على النهي أي لا يبدل أحد كلمات الله، فهو كقوله ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ **البقرة: ٢** أي لا يرتابون فيه على أحد الأقوال[٣] .

وقد زاد ابن الجوزي قولًا غير ما قاله الماوردي من أقوالٍ: أن معنى الكلام معنى النهي، وإن كان ظاهره الإخبار فالمعنى: لا يُبدِّلَن أحد كلمات الله، فهو كقوله: لا رَيْبَ فِيهِ[٤] .

فالماوردي أورد احتمالاته على معنى ما في هذه الكلمات من حيث ما وعد الله به من نصر أوليائه، وما أوجبه من هلاك أعدائه، ثمَّ من حيث

=

(١٣٠/٣)، والكشاف للزمخشري(١٩/٢)، وإعراب القرآن للنحاس(٩/٢)، ومفاتيح الغيب الرازي(٥١٩/١٢)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود(١٢٨/٣).

(١) **ينظر**: معاني القرآن للزجاج(٢٤٣/٢).

(٢) **ينظر**: المحرر الوجيز لابن عطية(٢٨٧/٢).

(٣) **ينظر**: تفسير البحر المحيط لأبي حيان(٤٩١/٤).

(٤) **ينظر**: زاد الميسر لابن الجوزي (٢٤/٢).

حجيَّة هذه الوعود والبراهين على ما أوجبه الله، ثم من حيث ما أخبر به في كتابه الكريم الذي لا يتبدَّل ولا يتغيَّر، ثم بما حفظ به كتابه من تخرصات الكذبة، وما يوقعون به الشبه الباطلة، فقد أفاض واستفاض في بيان معنى " كلمات الله" حيث اقتصر بعض المفسرين على القول بوجوب النصر والهلاك، وكذلك ما أخبر به القرآن؛ ولكن الماوردي أورد أربع احتمالاتٍ جمعت ما قالوا وزادت على ما قالوه، وما قاله من احتمالاتٍ لا تخرج بالكلام عن سياقه؛ بل توسَّع في بيان معنى الكلمات التي في مجملها ما أضافه الله لنفسه، وما كان كذلك فهو نافذٌ محفوظٌ.

٤- قوله تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ ﴾ **الأعراف: ١٩**

قال الماوردي: ﴿فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ يحتمل وجهين: **أحدهما:** من حيث شئتما من الجنة كلها. **والثاني:** ما شئتما من الثمار كلِّها؛ لأنَّ المستثنى بالنهي لمَّا كان ثمرًا كان المأمور به ثمرًا[١] .

دراسة الاحتمال:

الإمام الماوردي أورد احتمالين، والذي جرَّه إلى ذلك؛ حذف المضاف إليه وعود الضمير، والكلام على عود الضمير، هل هو للجنة مطلقًا، أم لما في الجنة من ثمار، والمفسرون على أنَّ الضمير عائدٌ على الجنة، والمعنى على حذف مضاف، أي من مطاعمها، من ثمارها وغيرها، ودلَّ ذلك على إباحة الأكل لهما من الجنة على سبيل التوسعة، إذ لم يحظر عليهما أكل ما، إذ قال: رغدًا[٢] .

(١) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٢٠٩/٢).

(٢) **ينظر**: البحر المحيط لأبي حيان(٢٥٥/١)، وروح المعاني للألوسي(٢٣٥/١).

ومعنى الأكل من الجنة من ثمرها لأنَّ الجنة تستلزم ثمارًا، وهي مما يقصد بالأكل، ولذلك تجعل "**من**" تبعيضيةٍ بتنزيل بعضِ ما يحويه المكان منزلةَ بعضٍ لذلك المكان، ويجوز أن تكون "**من**" ابتدائيةً إشارةً إلى أن الأكل المأذونَ فيه أكل ما تثمره تلك الجنة، كقولك" هذا الثمر من خيبر"[١] .

والمقصود منه الإطلاق في الأكل من الجنة بلا منع إلّا ما نهى عنه[٢] .

ولا يستبعد عموم اللفظ من عود الضمير إلى الجنة عمومًا، لأنَّ ما في الجنة أعمُّ من أن يكون ثمرًا فقط؛ بل فيها الشراب، واللحم وغيرهما، فيكون منها يشمل الثمر وغيره، وهذا فيه من عموم حيث إبهام المكان بقوله " حيث"، كما قال الزمخشري في الكشاف. فقال :"وحَيْثُ للمكان المبهم، أي: أيّ مكان من الجنة شِئْتُما أطلق لهما الأكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة، حين لم يحظر عليهما بعض الأكل ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات من الجنة، حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة بين أشجارها الفائتة للحصر"[٣] .

وقد علَّل الماوردي الاحتمال الثاني الذي هو "الثمار"؛ لأن المستثنى المنهي عنه من جنس المستثنى أي استثناءً متَّصلًا، ولكن ليس بالضرورة أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، بل قد يكون استثناءً منقطعًا، ويكون الكلام على إباحة الأكل عدا الشجرة المنهي عنها.

٥- قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾ **الأنفال:** ٢٨

(١) **ينظر**: التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور(٤٣١/١).

(٢) **ينظر**: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن(٣٨/١).

(٣) **ينظر**: الكشاف للزمخشري (١٢٧/١).

قـال المـاوردي: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ يحتمـل وجهين: **أحدهما:** أنَّ ما عند الله تعالى من الأجر خير من الأموال والأولاد. **والثـاني:** أنَّ مـا عند الله تعالى من أجر الحسنة التي يُجازي عليها بعشر أمثالها أكثر من عقوبة السيئة التي لا يجازي عليها إلا بمثلها(١) .

دراسة الاحتمال:

هنا الماوردي أراد أن يقيِّد نوع الأجر الذي جاء بصيغ التنكير الدالَّة على عظمه، فذكر وجهين محتمَلين قد يحملهما اللفظ وزيادة، والذي جعله يحدِّد هو ما سبق الفاصلة بقوله: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ فحدَّد الأجر لمناسبة ما جاء قبله.

وجعل الطاهر بن عاشور الأجر العظيم مرتبطًا بما قبله كالاحتمال الأول الذي ذكره الماوردي،

فقال: وَعُطِفَ قولُهُ:﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ على: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ للإشارةِ إلى أنَّ ما عند الله من الأجر على كفِّ النَّفس عن المنهيات هو خيرٌ من المنافع الحاصلة عن اقتحام المناهي لأجل الأموال والأولاد(٢) .

وصنيع المفسرين يدلُّ على أنهم أجروا كلمة " أَجۡرٌ" على إطلاقها، وكذلك بدلالة الوصف بالعِظَم، قال البغويُّ(٣) : أي لمن نصح الله ورسوله وأدى أمانته(١) .

---

(١) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٢٠٩/٢).

(٢) **ينظر**: التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور(٣٢٥/٩).

(٣) هو: الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي. يعرف بابن الفراء، ويلقب محيي السنة، وركن الدين أيضا: كان إماما في التفسير، إماما في الحديث، إماما في الفقه، ومن كتبه: و"شرح السنة" في الحديث، و"لباب التأويل في معالم التنزيل" في التفسير، و"مصابيح السنة"، وتوفى سنة: ٥١٠هـ. **ينظر**: =

وقال الرازي[٢] : لأنه أعظم في الشرف، وأعظم في الفوز، وأعظم في المدة، لأنه تبقى بقاء لا نهاية له، فهذا هو المراد من وصف الله الأجر الذي عنده بالعظم[٣] .

وقال أبو السعود[٤] : أجرٌ عظيمٌ لمن مال إليه سبحانه وآثر رضاه عليهما وراعى حدوده فيهما فأنيطوا هممكم بما يؤديكم إليه[٥] .

وأقول: الأولى عدم التقييد، وإطلاق لفظة " أجر" التي جاءت في سياق التنكير للدلالة على العظم، مع زيادة الإشارة إليه بوصف العظم، وهذا الذي سار عليه أغلب المفسرين، وإن كان للماوردي وجهٌ للاحتمال الأول

=

طبقات المفسرين للسيوطي(١/ ٤٩، ٥٠)، وطبقات المفسرين للداوودي(١/١٦١).

(١) **ينظر**: تفسير معالم التنزيل للبغوي(١/٣٨).

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ: الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، ومن كتبه: "مفاتيح الغيب" في التفسير، و"لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات"، و"معالم أصول الدين"، وتوفى سنة: ٦٠٦هـ. ينظر: الوافي للوفيات(١/٤٧٤)، طبقات المفسرين للسيوطي (١/١١٥).

(٣) **ينظر**: مفاتيح الغيب للرازي (١٥/٤٧٦).

(٤)**هو**: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. وأضيف إليه الإفتاء باللغات العربية والفارسية والتركية، تبعا لما يكتبه السائل. وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه "إرشاد العقل السليم إلى مرايا الكتاب الكريم" ومن كتبه :"تحفة الطلاب" في المناظرة، و"رسالة في المسح على الخفين"، وتوفى سنة:٩٨٢ هـ. **ينظر**: شذرات الذهب(٨/٣٩٨)،والعقد المنظوم(٢/٢٨٢).

(٥) **ينظر**: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/١٨).

المتعلق بالأموال والأولاد، وهو ما ذكره الطاهر ابن عاشور كذلك لوجود النماسة بين صدر الآية وفاصلتها.

٦-قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣ ﴾ **الأنفال: ٥٣**

قال الماوردي: يحتمل خمسة أوجه: **أحدها:** لم يك مغيرًا نعمة أنعمها عليهم بالنصر لهم على أعدائهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الثقة به والتوكل عليه.

والثاني: لم يك مغيرًا نعمته عليهم في كف أعدائهم عنهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعته والكف عن معصيته.

والثالث: لم يك مغيرًا نعمته عليهم في الغنى والسعة حتى يغيروا ما بأنفسهم من تأدية حق الله تعالى منه.

والرابع: لم يك مغيرًا نعمته في الثواب والجزاء حتى يغيروا ما بأنفسهم من الإيمان.

والخامس: لم يك مغيرًا نعمته عليهم في الإرشاد حتى يغيروا ما بأنفسهم من الانقياد[1] .

دراسة الاحتمال: هنا يذكر بعض الاحتمالات التي تحدد نوع النعمة التي أنعم الله بها، ثمَّ التغيير المنوط بهم تغييره، وقد ذكر خمس احتمالات في ذلك، والماوردي في ذكر هذه الاحتمالات يأت بما لم يأت به غيره ممن سبقه من المفسرين، فقد فقال الطبري: وفعلنا ذلك بهم، بأنهم غيَّروا ما أنعم الله عليهم به من ابتعاثه رسولَه منهم وبين أظهرهم، بإخراجهم إياه من بينهم،

(١) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٣٢٧/٢).

وتكذيبهم له، وحربهم إياه، فغيرنا نعمتنا عليهم بإهلاكنا إياهم، كفعلنا ذلك في الماضين قبلهم ممن طغى علينا وعصى أمرنا[١] .

وذكر عن السدي قوله، فقال : يقول: "نعمة الله"، محمد صلى الله عليه وسلم، أنعم به على قريش، وكفروا، فنقله إلى الأنصار[٢] .

وقيل: أراد أن الله تعالى لا يغير ما أنعم على قوم حتى يغيروا هم ما بهم بالكفران وترك الشكر، فإذا فعلوا ذلك غير الله ما بهم، فسلبهم النعمة[٣] .

وقيل: إنَّه تعالى أنعم عليهم بالعقل والقدرة وإزالة الموانع وتسهيل السبل والمقصود أن يشتغلوا بالعبادة والشكر ويعدلوا عن الكفر، فإذا صرفوا هذه الأحوال إلى الفسق والكفر، فقد غيروا نعمة الله تعالى على أنفسهم، فلا جرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن[٤] .

وقيل: وليس السبب عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم، بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته على تغييره متى يغيروا حالهم[٥] .

وأقول: قد ذكر المفسرون صنوفًا من النعم ، وأكثروا في تَعدَادها، ولكنَّ الأولى في استقامة المعنى وبقائه إطلاق اللفظ على ما هو عليه إجمالًا؛ وذلك لأنَّ اللفظ تطرق إليه الاحتمال فكساه ثوب الإجمال، -كما سبق في بيان القاعدة- فدلَّ ذلك على بقاء عموم النعم، وكذلك حال التغيير، فأي نعمة من نعم الله لا يلحقها التغيير إلا بتغيير أصحاب هذه

---

(١) **ينظر**: جامع البيان للطبري (١٩/١٤).

(٢) **ينظر**: المصدر السابق(٢٠/١٤).

(٣) **ينظر**: معالم التنزيل للبغوي (٣٠٢/٢).

(٤) **ينظر**: مفاتيح الغيب للرازي (٤٩٦/١٥).

(٥) **ينظر**: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٦٤/٣).

النعم، وكذلك حتي يبقى الأمر في كل وقتٍ وعلى أيِّ حالٍ، أولى من تخصيص النعمة وتغير حال القوم، ولذلك قال أبو حيان: والظاهر من قوله على قوم العموم في كل من أنعم الله عليه من مسلم وكافر وبر وفاجر وأنه تعالى متى أنعم على أحد فلم يشكر بدله عنها بالنقمة[1] .

٧- **قوله تعالى:**﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ **يوسف: ٦٢**

قال الماوردي: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ أي ليرجعوا. فإن قيل: فلم فعل ذلك يوسف؟ قيل: يحتمل أوجهًا خمسة: **أحدها:** ترغيبًا لهم ليرجعوا، على ما صرّح به.

الثاني: أنه علم منهم لا يستحلّون إمساكها، وأنهم يرجعون لتعريفها.

الثالث: ليعلموا أنه لم يكن طلبه لعودهم طمعًا في أموالهم.

الرابع: أنه خشي أن لا يكون عند أبيه غيرها للقحط الذي نزل به.

الخامس: أنه تحرج أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن قوتهم مع شدة حاجتهم[2].

(١) **ينظر**: تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٣٣٧/٥).

(٢) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٥٦/٣).

دراسة الاحتمال:

الذي يجب التنبيه عليه هنا هو أنَّ الغاية الأوسع معنىً والأشمل فهمًا هي الرجوع، وأنهم يرجعون عندما يعرفون أنَّ بضاعتهم في رحالهم مرَّةً أخرى، ولكنَّ المفسرين قد ذهبوا إلى تحديد سبب الرجوع وكأنَّ إخوة يوسف راجعون لا محالة، لكن ما سبب فعل يوسف الذي يرغبهم في الرجوع إليه؟ .

الإمام الطبري ذكر ثلاثة أوجهٍ مما ذكره الإمام الماوردي، الثاني والرابع والخامس[١] ، وزاد الماوردي الترغيب في الرجوع، ولكي يعلموا أنه لم يكن طلبه لعودهم طمعًا في أموالهم، وقد ذكر ذلك البغوي، والثعلبي [٢] .

ولعلَّه جعلها توطئةً لجعل السقاية في رحل أخيه بعد ذلك، ليبيِّن أنه لم يسرق لمن يتأمَّل القصَّة[٣] .

وذكر الرازي وجوهًا؛ منها ما ذُكرَ ومنها ما لم يُذكر من قبل ، **فقال** : أراد – يوسف– أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم به عيب ولا منَّةٍ، ومقصوده أن يعرفوا أنه لا يطلب ذلك الأخ لأجل الإيذاء والظلم ولا لطلب زيادة في الثمن. **ومنها:** أراد أن يعرف أبوه أنه أكرمهم وطلبه له لمزيد الإكرام فلا يثقل على أبيه إرسال أخيه. **ومنها** : أراد أن يكون ذلك المال معونة لهم على شدة الزمان، وكان يخاف اللصوص من قطع الطريق، فوضع تلك الدراهم في رحالهم حتى تبقى مخفية إلى أن يصلوا إلى أبيهم، **ومنها** :أراد أن يقابل مبالغتهم في الإساءة بمبالغته في الإحسان إليهم[٤].

---

(١) **ينظر**: جامع البيان الطبري(٥٧/١٦، ١٥٨).

(٢) **ينظر**: معالم التنزيل للبغوي (٥٠١/٢)، والكشف والبيان للثعلبي(٢ /٢٣٦).

(٣) **ينظر**: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عيطة (٢٥٩/٣).

(٤) **ينظر**: مفاتيح الغيب للرازي(٤٧٩/١٨).

ونقل ابن الجوزي عن الماوردي في زاد المسير الاحتمال الثالث، وهو عدم الطمع في أموالهم[١] .

وقد أجاد شيخ الإسلام أبو السعود، حيث قال : فإنَّ التفضلَ عليهم بإعطاء البدلين ولا سيما عند إعوازِ البِضاعةِ من أَقْوى الدَّواعي إلى الرجوع، وما قيل: إنَّما فعله عليه السلام لما لم يرَ من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمنًا فكلامٌ حقٌّ في نفسه، ولكن يأباه التعليلُ المذكور، وأمَّا أنَّ عِلّية الجعل المذكورِ للرجوع من حيث إن ديانتَهم تحمِلُهم على ردِّ البضاعةِ لأنَّهم لا يستحلُّون إمساكهم فمدارُه حُسبانُهم أنها بقِيت في رحالهم نسيانًا، وظاهرٌ أنَّ ذلك مما لا يخطُر ببال أحدٍ أصلًا؛ فإنَّ هيئة التعبيةِ تنادي بأن ذلك بطريق التفضّل، ألا يُرى أنهم كيف جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا ذلك دليلًا على التفضُّلات السابقة[٢] .

قال ابن عاشور: وجملة لعلهم يرجعون جواب للأمر في قوله: اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لأنه لما أمرهم بالرجوع استشعر بنفاذ رأيه أنهم قد يكونون غير واجدين بضاعة ليبتاعوا بها الميرة لأنه رأى مخايل الضيق عليهم[٣] .

وأقول: إن لفظة الرجوع، والتي عناها يوسف عليه السلام، ولعلمه أنهم بما فعله من وضع بضاعتهم في رحالهم جعله يطمئن إلى أنهم سيرجعوا، وهو الذي تأكَّد برجعهم مرةً أخرى بأخيهم، وما ذكره المفسرون من أسبابٍ جعلته يعطيهم بلا ثمنٍ ما هو إلا استخراجٌ لأسبابٍ قد تكون وقد لا تكون، يحتملها اللفظ وزيادة.

---

(١) **ينظر**: زاد المسير لابن الجوزي(٤٥٣/٢).

(٢) **ينظر**: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢٨٩/٤).

(٣) **ينظر**: التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (١٥/١٣).

٨- **قوله عزَّ وجلَّ:** ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ **النحل: ٧٧**

قال الماوردي: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ يحتمل خمسة أوجه: **أحدها:** ولله علم غيب السموات والأرض، لأنَّه المنفرد به دون خلقه. **الثاني:** أنَّ المراد بالغيب إيجاد المعدومات وإعدام الموجودات. **الثالث:** يعني فعل ما كان وما يكون، وأمَّا الكائن في الحال فمعلوم. **الرابع:** أنَّ غيب السماء الجزاء بالثواب العقاب، وغيب الأرض القضاء بالأرزاق والآجال[١] .

دراسة الاحتمال:

الإمام الماوردي هنا قال يحتمل خمسة أوجهٍ، ولكنه ذكر أربعة أوجهٍ، وكل هذه الاحتمالات مما يندرج تحت إثبات العلم لله وألوهيته سبحانه، فهذه الأوجه كلها مما يعلمه الله سبحانه ولا يعلمه أحدٌ سواه من العباد، ومما اتخذه الناس آلهةً من دون الله سبحانه، ولكنَّ بعض المفسرين قال في معنى غيب السماوات والأرض بما هو متناسب مع سياق الآيات، لأنَّ سياق الآيات هو الذي يحدد أي غيب هو ما غاب عن الناس وعلمه عند الله سبحانه وتعالى.

قال الطبري: ولله أيها الناس مِلك ما غاب عن أبصاركم في السموات والأرض دون آلهتكم التي تدعون من دونه، ودون كلّ ما سواه، لا يملك ذلك أحد سواه[٢] .

---

(١) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٣/٥٦).

(٢) **ينظر**: تفسير جامع البيان للطبري (٣/٢٠٥).

قال أبو حيان: فغيب السماوات والأرض، هو ما غاب عن العباد وخفي فيهما عنهم علمه، والظاهر اتصاله بقوله: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ **النحل: ٧٤**، أخبر باستئثاره بعلم غيب السموات والأرض، بكمال قدرته على الإتيان بالساعة التي تنكرونها في لمحة البصر أو أقرب، والمعنى بهذا الإخبار: أن الآلهة التي تعبدونها منتف عنها هذان الوصفان اللذان للإله وهما: العلم المحيط بالمغيبات، والقدرة البالغة التامة[١] .

وهو الذي لم يقل به الزمخشري، حيث حدَّد الغيب، فقال: أراد بغيب السموات والأرض: يوم القيامة[٢] .

قال أبو السعود: أي جميع الأمور الغائبة عن علوم المخلوقين بحيث لا سبيل لهم إلى إدراكها حسًّا ولا فهمها عقلًا فلا مشاهدةَ ولا استدلالَ[٣] .

قال الألوسي معقبًا على كلام أبي السعود: ولا يخفى أن القول بالعموم أولى[٤] .

وأقول: إنَّ القول بحديد ما هو غيبٌ ضربٌ من التفصيل الذي لا يقويه السياق ، فالأولى القول بعموم الغيب ، لما في ذلك إثبات عجز ما يدَّعي الكفار من آلهة مع الله.

(١) **ينظر**: تفسير البحر المحيط (٥٧٢/٦).
(٢) **ينظر**: الكشاف للزمخشري (٦٢٣/٣).
(٣) **ينظر**: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٣١/٥).
(٤) **ينظر**: روح المعاني للألوسي (٤٣٥/٧).

٩- قال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۗ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١ ﴾ **الكهف: ٢١**

قال الماوردي:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾ يحتمل وجهين: **أحدهما:** ليعلم أهل بلدهم أن وعد الله حق في قيام الساعة وإعادة الخلق أحياء ، لأن من أنامهم كالموتى هذه المدة الخارجة عن العادة ثم أيقظهم أحياء قادر على إحياء من أماته وأقبره.

الثاني: معناه ليرى أهل الكهف بعد علمهم أنَّ وعد الله حق في إعادتهم(١) .

دراسة الاحتمال: هنا أورد الماوردي احتمالين قال بأولاهما جمهرة المفسرين، وهو حصول العلم لأهل المدينة الذين عثروا على الفتية، والاحتمال الثاني قاله الماوردي، وهو حصول العلم للفتية أنفسهم، ومن يطالع كلام المفسرين يرى اجماعهم على الاحتمال الأول، قال البغوي: " ليعلموا أنَّ وعد الله حقٌّ، يعني أصحاب بيدروس الذين أنكروا البعث، وأنَّ الساعة لا ريب فيها إذْ يتنازعون بينهم أمرهم"(٢) .

(١) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي(٣/٢٩٥).

(٢) **ينظر**: معالم التنزيل للبغوي (٣/١٨٥).

قال صاحب الكشاف : "ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وهو البعث، لأن حالهم في نومتهم وانتباهتهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث[١] ، وذكر ابن الجوزي أنه قول الأكثرين[٢] .

وذلك لأن مفعول أعثرنا محذوف دل عليه عموم "ولا يشعرن بكم أحدا" تقديره: أعثرنا أهل المدينة عليهم، وضمير ليعلموا عائد إلى المفعول المحذوف المقدر لأن المقدر كالمذكور[٣] .

وقال أبو حيان بالوجهين، وجههما توجيهًا نحويًّا؛ فقال: والضمير في "يعلموا "عائد على مفعول "أعثرنا" أي الناس، وإليه ذهب الطبري، وإلى هذا وقعت الإشارة بقوله "إذ يتنازعون بينهم أمرهم" و"إذ" معمولة لأعثرنا أو ليعلموا. وقيل: يحتمل أن يعود الضمير في "ليعلموا" على أصحاب الكهف، أي جعل الله أمرهم آية لهم دالة على بعث الأجساد من القبور. وقوله إذ يتنازعون على هذا القول ابتداء خبر عن القوم الذين بعثوا على عهدهم، والتنازع إذ ذاك في أمر البناء والمسجد لا في أمر القيامة[٤] .

فجعل الضمير عائدًا على ليعلموا ، وما بعد جملتها من "إذ" ابتداء خبر عن القوم، والتنازع لا في حق يوم القيامة؛ بل في أمر بناء المسجد.

وأقول: لا مانع من إعمال الوجهين، وإن كان جمهور المفسرين على الوجه الأول والمراد به " الناس"، ولكن الوجه الثاني له وجهته، وذلك أنَّ حصول العلم للفتية لهم في البعث فيه تقويةً لهم وتثبيتًا لهم في دينهم.

---

(١) **ينظر**: الكشاف للزمخشري (٧١١/٢).

(٢) **ينظر**: زاد الميسر لان الجوزي (٧٤/٣).

(٣) **ينظر**: التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٨٨/١٥).

(٤) **ينظر**: تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١٥٨/٧).

١٠- قال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ **طه: ٦٦**

قال الماوردي: في قوله تعالى:﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: أنه يخيل ذلك لفرعون. الثاني: لموسى كذلك[١] .

دراسة الاحتمال:

هنا ذكر وجهين في عود الضمير في " إليه" ومن حصل له التخييل، فذكر أنه لفرعون، ولموسى كذلك، وكلمة كذلك تفيد حصول التخييل لهم معًا، قال الطبري وفي هذا الكلام متروك، وهو: فألقوا ما معهم من الحبال والعصيّ، فإذا حبالهم، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام الذي ذكر عليه عنه، وذُكر أن السحرة سحروا عين موسى وأعين الناس قبل أن يلقوا حبالهم وعصيهم، فخيل حينئذ إلى موسى أنها تسعى[٢] .

وقال الرازي: والهاء في قوله: يخيل إليه كناية عن موسى عليه السلام والمراد أنهم بلغوا في سحرهم المبلغ الذي صار يخيل إلى موسى عليه السلام أنها تسعى كسعي ما يكون حيا من الحيات لا أنها كانت حية في الحقيقة[٣] .

وقال أبو حيان: الضمير في "إليه" الظاهر أنه يعود على موسى لقوله قبل "قال بل ألقوا" ولقوله بعد "فأوجس في نفسه خيفة موسى " **وقيل:** يعود على فرعون[٤] .

---

(١) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٢٩٥/٣).

(٢) **ينظر**: جامع البيان للطبري(٣٣٦/١٨)، ومعالم التنزيل للبغوي(٢٦٧/٣)، والكشف والبيان للثعلبي(٢٥٢/٦) .

(٣) **ينظر**: مفاتيح الغيب للرازي (٧٣/٢٢).

(٤) **ينظر**: تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٣٥٥/٧).

فأبو حيان حكَّم السياق وجعل ظاهر العود للضمير إلى موسى، لأنه الكلام عليه وهو متعيِّنٌ، وقال الألوسي: وضمير إِلَيْهِ الظاهر أنه لموسى عليه السلام بل هو كالمتعين، وقيل: لفرعون وليس بشيء، وأن وما في حيزها نائب فاعل يُخَيَّلُ أي يخيل إليه بسبب سحرهم سعيها[١] .

وعد الكرماني من الغرائب أن يعود الضمير إلى فرعون[٢] .

وأقول: إنَّ وقوع التخييل لفرعون قد يقع تبعًا لوقوعه لموسى؛ من حيث إنهم حضروا الحدث، ولكن الكلام وسياق الآيات لموسى وهو المعنيُّ بالأمر، فإخبار القرآن عن وقوع التخييل له أولى، وهو ما قال البعض أنَّ موسى كالمتعين، وعملًا **بقاعدة:** "إعادة الضمير إلى المحدَّث عنه أولى من إعادته إلى غيره"، وذلك بمعنى أنه إذا جاء ضمير في سياق قرآني، وتعددت الاحتمالات في مرجعه، فرجوعه إلى المحدث عنه في السياق إلى من رجوعه إلى غيره، لأنه هو المقصود بالكلام، ويتوجه إليه الخطاب[٣] .

١١- قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ **الأنبياء: ٩٢**

قال الماوردي: وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ معناه أن دينكم دين واحد، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة. ويحتمل عندي وجهين آخرين: **أحدهما:** أنكم خلق واحد، فلا تكونوا إلا على دين واحد. **والثاني:** أنكم أهل عصر واحد، فلا تكونوا إلا على دين واحد[٤] .

---

(١) **ينظر**: روح المعاني للألوسي(٥٣٨/٨).

(٢) **ينظر**: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني(٧٢٢/٢).

(٣) **ينظر**: قواعد الترجيح في التفسير لـ/حسين الحربي صـ(٦٠٣).

(٤) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٤٧٠/٣).

دراسة الاحتمال: أورد الماوردي القول المأثور أولًا، والمراد به الملة والدين، قال الطبري والبغوي: المراد بقوله: إن هذه أمتكم، أي ملتكم ودينكم. أمة واحدة، أي دينًا واحدًا وهو الإسلام، فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان(١) .

وقال ابن عطية: ويحتمل الكلام أن يكون منقطعًا خطابًا لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم، ثمَّ أخبر عن الناس أنهم تقطعوا، ثمَّ وعد وأوعد، ويحتمل أن يكون متَّصلًا أي جعلنا مريم وَابْنَها آيَةً لِلْعالَمِينَ بأن بعث لهم بملة وكتاب وقيل لهم إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أي دعي الجميع إلى الإيمان بالله تعالى وعبادته(٢) .

وذكر أبو حيان، فقال: والظاهر أنَّ قوله أمتكم خطاب لمعاصري الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه إشارة إلى ملة الإسلام، أي إنَّ ملَّة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها ملة واحدة غير مختلفة.

ويحتمل أن تكون هذه إشارة إلى الطريقة التي كان عليها الأنبياء المذكورون من توحيد الله تعالى هي طريقتكم وملتكم طريقة واحدة لا اختلاف فيها في أصول العقائد، بل ما جاء به الأنبياء من ذلك هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

وقيل: معنى أمة واحدة مخلوقة له تعالى مملوكة له، فالمراد بالأمة الناس كلهم.

---

(١) **ينظر**: جامع البيان للطبري(٥٢٣/١٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣١٦/٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس (٢٤٦٦/٨).

(٢) **ينظر**: المحرر الوجيز (٩٨/٤).

وقيل: الكلام يحتمل أن يكون متصلا بقصة مريم وابنها أي وجعلناها وابنها آية للعالمين بأن بعث لهم بملة وكتاب، وقيل لهم إن هذه أمتكم أي دعا الجميع إلى الإيمان بالله وعبادته(١) .

قال الألوسي: خطاب للناس قاطبة، والإشارة إلى ملة التوحيد والإسلام والمعنى: أن ملة الإسلام ملتكم التي يجب أن تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها فافعلوا ذلك، وقوله تعالى: "أُمَّةً واحِدَةً"

نصب على الحال من "أُمَّةً" والعامل فيها اسم الإشارة، ويجوز أن يكون العامل في الحال غير العامل في صاحبها وإن كان الأكثر الاتحاد، وقيل بدل من هذِهِ ومعنى وحدتها اتفاق الأنبياء عليهم السلام عليها أي إن هذه أمتكم أمة غير مختلفة فيما بين الأنبياء عليهم السلام بل أجمعوا كلهم عليها فلم تتبدل في عصر من الأعصار كما تبدلت الفروع، وقيل: معنى وحدتها عدم مشاركة غيرها وهو الشرك لها في القبول وصحة الأتباع.

وجوَّز أن تكون الإشارة إلى طريقة الأنبياء المذكورين عليهم السلام والمراد بها التوحيد أيضا، وقيل: هي إشارة إلى طريقة ابراهيم عليه السلام والكلام متصل بقصته وهو بعيدٌ جدًّا، وأبعد منه بمراحل ما قيل إنها إشارة إلى ملة عيسى عليه السلام، والكلام متصل بما عنده كأنَّه قيل: وجعلناها وابنها آيةً للعالمين قائلين لهم: إنَّ هذه أي الملة التي بُعثَ بها عيسى أمتكم إلخ؛ بل لا ينبغي أن يلتفت إليه أصلًا، وقيل: إن هذِهِ إشارة إلى جماعة الأنبياء المذكورين عليهم السلام والأمة بمعنى الجماعة أي إن هؤلاء جماعتكم التي يلزمكم الاقتداء بهم مجتمعين على الحق غير مختلفين، وفيه وجهٌ حسن كما لا يخفى، والأول أحسن وعليه جمهور المفسرين وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، وجوز بعضهم كون الخطاب للمؤمنين كافة،

(١) **ينظر**: البحر المحيط (٤٦٤/٧).

وجعله الطيبي للمعاندين خاصة حيث قال في وجه ترتيب النظم الكريم: إن هذه السورة نازلة في بيان النبوة وما يتعلق بها والمخاطبون المعاندون من أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم[١] .

وقال الطاهر ابن عاشور: المخاطب به الرسل، وهو وإن كان خطابًا للرسل فإن مما يقصد منه تبليغ ذلك لأتباعهم ليعلموا أنَّ دين الله واحد، وذلك عون على قبول كل أمة لما جاء به رسولها لأنه معضود بشهادة من قبله من الرسل.

ويجوز أن تكون الجملة استئنافًا، والخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أي أن هذه الملة، وهي الإسلام، هي ملة واحدة لسائر الرسل، أي أصولها واحدة كقوله تعالى:﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ **الشورى: ١٣** الآية. والتأكيد على هذا لرد إنكار من ينكر ذلك مثل المشركين[٢] .

وأقول: إنَّ ما ذكره الماوردي أولًا هو ما عليه جمهور المفسرين من أنه الدين والملة، ولكنَّهم اختلفوا فيمن يتوجه إليه الخطاب، والاحتمالان اللذان أوردهما الماوردي أنهم أهل خلقٍ واحدٍ أو عصرٍ واحدٍ، ذهب فيهما العلماء فبعضهم قال بأنهم أهل عصر، وبعضهم قال بأنهم أهل خلقٍ واحدٍ، كالزمخشري: والخطاب للنَّاس كافَّةً[٣] ، وأشار إليه أبو حيان كما سبق.

ولا يستبعد ذلك؛ فمعنى "الأمة" اتفقوا على أنه الملة والدين، ولكنهم اختلفوا فيمن يتوجه إليه الخطاب، فقد يكون لأهل العصر، أو للناس كافة كما قال الزمخشري والألوسي، وهذا يدل على أن الماوردي يكون قد

(١) **ينظر**: روح المعاني للألوسي (٨٥/٩).
(٢) **ينظر**: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤٠/١٧).
(٣) **ينظر**: الكشاف للزمخشري (١٣٤/٣).

استوعب كل هذه الأقوال، ويدلُّ كذلك على سعة علمه وقوة اجتهاده؛ حيث لم يسبقه أحدٌ لمثل هذه الأقوال.

١٢- قال تعالى: ﴿ * وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ **النور: ٥٣**

قال الماوردي: ﴿قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ يحتمل وجهين: **أحدهما:** طاعة صادقة خير من أيمان كاذبة. **الثاني:** قد عرف نفاقكم في الطاعة فلا تتجملوا بالأيمان الكاذبة[١] .

دراسة الاحتمال: هنا خرَّج الماوردي مفهوم الطاعة وفسَّرها على أنها تحتمل الطاعة الحقيقية الصادقة، وكذلك الطاعة النفاقية الكاذبة، وقد اختلف المفسرون كذلك فذهب بعضهم إلى أنها الطاعة النفاقية فقال الطبري: (طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ) منكم فيها التكذيب. وعن مجاهد أنه قال: (قُلْ لا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ) أي: قد عرفت طاعتكم إلي أنكم تكذبون[٢] .

وقال البغوي بالقولين: الطاعة النفاقية، يعني هذه طاعة بالقول باللسان دون الاعتقاد، وهي معروفة يعني أمرٌ عُرِفَ منكم أنكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون، وهذا معنى قول مجاهد رضي الله عنه.

وقيل: معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل[٣] .

وقال ابن عطية : يحتمل معاني **أحدها:** النهي عن القسم الكاذب إذ عرف أن طاعتهم دغلة رديئة. فكأنه يقول لا تغالطوا فقد عرف ما أنتم

---

(١) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (١١٧/٤).

(٢) **ينظر** : جامع البيان الطبري (٢٠٦/١٩).

(٣) **ينظر** : معالم التنزيل للبغوي (٤٢٤/٣).

عليه، **والثاني:** أن يكون المعنى لا تتكلفوا القسم طاعة متوسطة على قدر الاستطاعة أمثل وأجدى عليكم، وفي هذا الوجه إبقاء عليهم، **والثالث:** أن يكون المعنى لا تقنعوا بالقسم طاعة تعرف منكم وتظهر عليكم هو المطلوب منكم، **والرابع:** أن يكون المعنى لا تقنعوا لأنفسكم بإرضائنا بالقسم، طاعة الله معروفة وشرعه وجهاد عدوه مهيع لائح(١) .

وقد انتصر الزمخشري والرازي وكذلك البيضاوي وتابعهم أبو حيان فيها لكونها الطاعة الحقيقية – طاعة أهل الإيمان" فقال الزمخشري: "طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ" خبر مبتدأ محذوف. أو مبتدأ محذوف الخبر، أي: أمركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب، كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره، لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها. أو طاعتكم طاعة معروفة، بأنها بالقول دون الفعل. أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة. وقرأ اليزيدي: طاعةً معروفةً، بالنصب على معنى: أطيعوا طاعةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم، وأنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم(٢) .

وأقول: إن حمل الطاعة هنا على الطاعة النفاقية التي اللسان فقط من غير مواطأة للقلب هو ما يليق بهذا المقام حي هنا ذمٌّ لهم، وقد أثلج الصدر أبو السعود رحمه الله، فقال: وقوله تعالى "طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ" خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، والجملةُ تعليلٌ للنَّهيِ، أي: لا تقسمُوا على ما تدَّعُون من الطَّاعةِ لأنَّ طاعتَكم طاعةٌ نفاقيةٌ واقعةٌ باللِّسان فقط من غيرِ مُواطأةٍ من القلبِ،

(١) **ينظر**: المحرر الوجيز لابن عطية(١٩٢/٤).

(٢) **ينظر**: الكشاف للزمخشري(٢٥٠/٣) ومفاتيح الغيب للرازي(٤١١/٢٤) وأنوار التنزيل للبيضاوي(٢١١/٤)، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان (٦٣/٨).

وإنَّما عبَّر عنها بمعروفةٍ للإيذانِ بأنَّ كونها كذلك مشهورٌ معروفٌ لكلِّ أحدٍ، وقرئ بالنَّصب[١] ، والمعنى تطيعون طاعةً معروفةً، هذا؛ وحملها على الطَّاعةِ الحقيقيَّةِ بتقديرِ ما يُناسبها من مبتدأ أو خبرٍ أو فعلٍ مثلُ الذي يُطلب منكم طاعة معروفة حقيقيةٌ لا نفاقيةٌ أو طاعةٌ معروفةٌ أمثلُ أو "ليكُن طاعةً معروفةً" أو "أطيعوا طاعةً معروفةً" ممَّا لا يُساعده المقامُ[٢] .

وقد تابعه الألوسي كعادته في قوله هذا[٣]، والإمام الماوردي قد قال بالاحتمالين هنا.

١٣- **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ **غافر: ٢٨**

قال الماوردي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ يحتمل وجهين: **أحدهما:** مسرفٌ على نفسه كذَّابٌ على ربه إشارةٌ إلى موسى، ويكون هذا من قول المؤمن. **الثاني:** مسرفٌ في عناده كذَّابٌ في ادِّعائه إشارةٌ إلى فرعون، ويكون هذا من قوله تعالى[٤] .

دراسة الاحتمال: أورد الماوري احتمالين بأن الجملة الاعتراضية التذييلية إما أن كون من قول المؤمن ويكون المعنى مقصودًا به موسى علي السلام، وإما أن تكون من قول الله تعالى، ويكون المعنى مقصودًا به فرعون.

---

(١) **ينظر**: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٨٨/٦، ١٨٩).

(٢) **ينظر**: روح المعاني للألوسي (٣٩١/٩).

(٣) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (١٥٣/٥).

(٤) **ينظر**: جامع البيان للطبري(٢١/ ٣٧٧).

ولكن جمهور المفسرين ذهبوا إلى أنه من قول مؤمن آل فرعون، وذلك في محاولة منه لإظهار ما أيَّد الله به موسى من المعجزات البينات، وما أذلَّ به فرعون من إظهار ضعفه ووهنه في مواجهة موسى بالحجة.

قال الطبري هو من قول المؤمن، ثم ذكر معنى الإسراف، هل الإسراف هنا سفك الدماء بغير حقٍّ، أو الشرك، ثم قال والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن هذا المؤمن أنه عمّ بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ والشرك من الإسراف قاله قتادة، وسفك الدم بغير حقّ من الإسراف، قاله السدي ومجاهد ، وقد كان مجتمعًا في فرعون الأمران كلاهما، فالحقُّ أن يعم ذلك كما أخبر جلّ ثناؤه عن قائله، أنه عمَّ القول بذلك[١] .

قال ابن عطية: ثم وعظهم هذا المؤمن بقوله: إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ"[٢] .

وقال الإمام الرازي: حكى الله تعالى عن هذا المؤمن حكاية ثالثة في أنه لا يجوز إيذاء موسى عليه السلام فقال: إن الله لا يهدي من هو مسرف مرتاب وتقرير هذا الدليل أن يقال: إن الله تعالى هدى موسى إلى الإتيان بهذه المعجزات الباهرة، ومن هداه الله إلى الإتيان بالمعجزات لا يكون مسرفًا كذابًا فهذا يدل على أن موسى عليه السلام ليس من الكاذبين، فكان قوله" إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب" إشارة إلى علو شأن موسى عليه السلام على طريق الرمز والتعريض، ويحتمل أيضا أن يكون المراد أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى، كذاب في إقدامه على ادعاء الإلهية، والله لا يهدي من هذا شأنه وصفته، بل يبطله ويهدم أمره[٣] .

---

(١) **ينظر**: المحرر الوجيز لابن عطية (٥٥٦/٤).

(٢) **ينظر**: مفاتيح الغيب للرازي (٥٠٧/٢٧).

(٣) **ينظر**: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢٧٤/٥، ٢٧٥).

وقال أبو السعود: وهو احتجاجٌ آخرُ ذُو وجهينِ **أحدُهما:** أنَّه لوْ كانَ مُسرفًا كذابًا لما هداهُ الله تعالَى إلى البيناتِ ولمَا أيَّدهُ بتلكَ المعجزاتِ، **وثانيهما:** إنْ كان كذلك خذلَه الله وأهلكَهُ فَلا حاجةَ لكُم إلى قتلِه، ولعلَّه أراهُم المعنى الثَّانِي وهُو عاكفٌ على المَعْنى الأول لتلينَ شكيمتُهم، وقد عَرَّضَ به لفرعونَ بأنه مسرفٌ كذَّابٌ لا يهديِه الله سبيلَ الصوابِ ومنهاجَ النجاة[1] .

وأمَّا على كون الجملة من قول المؤمن المقصود منها تعليل قوله: وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم أي لأنَّ الله لا يقرُّه على كذبه فإن كان كاذبًا على الله فلا يلبث أن يفتضح أمره أو يهلكه.

وأما على احتمال أنه من قول الله تعالى، فتكون:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ جملةً معترضةً بين كلامي مؤمن آل فرعون ليست من حكاية كلامه، وإنما هي قولٌ من جانب الله في قرآنه يُقصد منها تزكية هذا الرجل المؤمن؛ إذ هداه الله للحق، وأنه تقي صادق، فيكون نفي الهداية عن المسرف الكذاب كناية عن تقوى هذا الرجل وصدقه لأنه نطق عن هدى والله لا يعطي الهدى من هو مسرف كذاب[2] .

وأقول: الأرجح ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أنه قول ممن آل فرعون، وذلك أبلغ في إظهار الحجة على فرعون وقومه، ودعمًا لموسى عليه السلام بما أيده الله به من معجزاتٍ.

١٤- قال الله تعالى: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ **الحشر: ٢١**

---

(١) **ينظر**: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣٠/٢٤، ١٣١).

(٢) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٥١٢/٥).

قـــال المـــاوردي: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ ﴾ يحتمـل وجهين: **أحدهما:** أن يكون خطابًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّنا لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لما ثبت له؛ بل انصدع من نزوله عليه ، وقد أنزلناه عليك وثبتناك له ، فيكون ذلك امتنانًا عليه أن ثبَّته لمَا لا تثبت له الجبال.

الثـاني: أنـه خطـابٌ للأمـة ، وأنَّ الله لـو أنـذر بهـذا القـرآن الجبـال لتصدعت من خشية الله، والإنسان أقلُّ قوةً وأكثرُ ثباتًا، فهو يقوم بحقه إن أطاع، ويقدر على ردِّه إن عصى، لأنه موعودٌ بالثواب ومزجورٌ بالعقاب.

وفيـه قـولٌ ثالـثٌ: إنَّ الله تعـالى ضـربه مـثلًا للكفَّـار أنَّـه إذا نـزل هـذا القرآن على جبلٍ خشع لوعده وتصدَّع لوعيده، وأنتم أيها المقهروون بإعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده[١] .

دراسة الاحتمال: هنا أورد الماوردي احتمالين، وأردفه بقولٍ، فإما أن يكون ذلك خطابًا للنبي صلى الله عليه وسلم، وأنَّ الله ثبته لتلقي هذا القرآن الذي تصدعت منه الجبال، فيكون هذا على سبيل الامتنان، وإمَّا أن يكون ذلك خطابًا للأمة، وفيه حثٌّ للإنسان الذي ثبته الله تعالى لتلقي ما يأمره به وينهاه عنه.

ثمَّ أورد قولًا وهو ما يذهب إليه كثيرٌ من المفسرين: أنه مثلٌ ضربه الله تعالى للكفار الذين يعرضون عن القرآن فلا يرغبون في وعده ولا يرهبون من وعيده.

فالإمام الطبري جعله خطابًا للأمة، فقال: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وهو حجر، لرأيته يا محمد يا خاشعًا؛ يقول: متذللا متصدّعا من خشية الله على قساوته، حذرًا من أن لا يؤدّي حقّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، وقد أنزل على ابن آدم وهو بحقه مستخفٌّ، وعنه عما فيه من

(١) **ينظر**: جامع البيان للطبري(٢٣/ ٣٠٠، ٣٠١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٦٦/٥).

العِبَر والذكر مُعْرض، كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقرًا، وتبعه البغوي في تفسيره[١] .

قال الزمخشري: هذا من باب التخييل والتمثيل، كما مر في قوله تعالى: إنَّا عرضنا الأمانة على السماوات﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ **الأحزاب: ٧٢** ، ودَّل على ذلك: وتلك الأمثال نضربها للناس، والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وعدم تأثره لهذا الذي لو أنزل على الجبل لتخشع وتصدع، وإذا كان الجبل على عظمه وتصلبه يعرض له الخشوع والتصدع، فابن آدم كان أولى بذلك، لكنه على حقارته وضعفه لا يتأثر، وقد ذكر ذلك أبو حيان في تفسيره[٢] .

قال أبو السعود: أُريدَ به توبيخَ الإنسانِ على قسوةِ قلبهِ وعدم تخشعِهِ عندَ تلاوتِهِ وقلةِ تدبرِهِ فيه[٣] .

والرازي جعله مثلًا للتنبيه على قساوة قلوب هؤلاء الكفار، وغلظ طباعهم، ونظير قوله: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة[٤] .

وقال الألوسي: هذا تمثيل وتخييل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ والزواجر، والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر ما فيه من القوارع وهو الذي لو أنزل على جبل وقد ركب فيه العقل لخشع وتصدع[٥] .

---

(١) **ينظر**: الكشاف للزمخشري (٥٠٩/٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٤٨/١٠، ١٤٩).

(٢) **ينظر**: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢٣٣/٨).

(٣) **ينظر**: مفاتيح الغيب الرازي (٥١٢/٢٩).

(٤) **ينظر**: روح المعاني للألوسي(٢٥٥/١٤).

(٥) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (١٤٤/١).

وأقول: ومن خلال ما سبق ذكره من أقوال المفسرين نرى بعضهم قد ذهب إلى أنه خطابٌ للنبي صلى الله عليه وسلم، وبعضهم جعله خطابًا للأمة، وبعضهم جعله مثلًا ضربه الله تعالى للكفار الذين لم يعتبرا بالقرآن أبدًا، والإمام الماوردي قال بكلِّ هذه الأقوال وبذلك يكون قد جمع كل الأقوال، وإن كان لم يرجِّح قولًا منها، لكن كل هذه الأقوال محتملةٌ للقول بها.

المبحث الثاني: الاحتمالات التي وافق فيها المفسرون الماوردي.

لقد كان للإمام الماوردي الأثر الكبير في من بعده من المفسرين، سواء من نقل عنه مؤيدًا أم معارضًا ، ومن خلال ما سأعرضه هنا يتبين ما له من أثرٍ على مَن بعده من المفسرين

فقد تأثر به بعض المفسرين تأثرًا كبيرًا لدرجة أنهم لم يصرحوا بذكره في كل ما نُقِلَ عنه وذلك كصاحب "إيجاز البيان عن معاني القرآن" لأبي القاسم، نجم الدين محمود بن أبى الحسن ابن الحسين النيسابوري (ت:٥٥٠هـ)، وممن نقل عنه أبو حيان في تفسيره البحر المحيط، وكذلك ابن الجوزي في تفسيره زاد الميسر.

ومن خلال بعض الأمثلة يتبين ذلك:

١- **قال الله تعالى:** ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ **البقرة: ٧٣**

قال الإمام الماوردي : وجعل سبب إحيائه الضرب بميت، لا حياة فيه، لئلا يلتبس على ذي شبهة، أنَّ الحياة إنما انتقلت إليه مما ضُرِبَ به، لتزول الشبهة، وتتأكَّد الحجة[١] .

أثر ذلك النقل على غيره من المفسرين: قد يفوت بعض الناس الحكمة من الضرب بالميت، ولكنه ذكر الحكم من ذلك ونقل عنه ذلك أبو حيان، فقال: قال الماوردي: كان الضرب بميتٍ لا حياة فيه، لئلا يلتبس

(١) **ينظر**: تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٤٢٠/١).

على ذي شبهةٍ أنَّ الحياة إنَّما انقلبت إليه ممَّا ضُرِبَ به لتزول الشبهة وتتأكد الحجة[١] .

قال الألوسي: قال الماوردي: وإنَّما كان الضرب بميِّتٍ لا حياة فيه لئلا يلتبس على ذي شبهةٍ أنَّ الحياة إنما انقلبت إليه مما ضُرِبَ به فلإزالة الشبهة وتأكُّد الحجَّة كان ذلك[٢] .

وذكره كذلك صحب إيجاز البيان نقلًا عن الماوردي.

وذلك لأنَّ بعض من يشكِّك في قدرة الله تعالى، قد يلبس الأمر ويقول إن ذلك حدث بسبب ما ضُرِبَ به من الحيِّ، فتأكد الأمر بذلك وزالت الشبهة.

وقد نقلوا عن الماوردي قوله هذا، ثم اختلفوا فمن يتوجه إليه الخطاب، فقال الماوردي: في قوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ﴾ وجهان: **أحدهما:** أنه حكاية عن قولِ موسى لقومه. **والثاني:** أنَّه خطابٌ من الله لمشركي قريش.

قال الطبري: يعني جل ذكره: ويريكم الله أيها الكافرون المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به من عند الله – من آياته[٣] .

وظاهرها أنها خطاب لبني إسرائيل، حينئذٍ حكي لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم ليعتبر به إلى يوم القيامة، وذهب الطبري إلى أنها خطاب لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم، وأنها مقطوعة من قوله تعالى: اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها"[٤] .

---

(١) **ينظر**: روح المعاني للألوسي(٢٩٣/١).

(٢) **ينظر**: جامع البيان للطبري(٢٣٣/٢).

(٣) **ينظر**: المحرر الوجيز لابن عطية(١٦٥/١).

(٤) **ينظر**: زاد الميسر لابن الجوزي(٧٩/١).

ذكر القولين ابن الجوزي في تفسيره : فيه قولان: أحدهما: أنه خطاب لقوم موسى. والثاني: لمشركي قريش، احتج عليهم إذ جحدوا البعث بما يوافق عليه أهل الكتاب(١) .

قال أبو حيان : إن كان هذا خطابًا للذين حضروا إحياء القتيل، كان ثم إضمار قول: أي وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة. وقدره الماوردي خطابا من موسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام. وإن كان لمنكري البعث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون من تلوين الخطاب. والمعنى: كما أحيي قتيل بني إسرائيل في الدنيا، كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة، وإلى هذا ذهب الطبري، والظاهر هو الأول، لانتظام الآي في نسق واحد، ولئلا يختلف خطاب لعلكم تعقلون، وخطاب ثم قست قلوبكم، لأن ظاهر قلوبكم أنه خطاب لبني إسرائيل(٢) .

وذكر أبو السعود قولي الماوردي دون ترجيحٍ ووجه الكلام فيهما، فقال: فالخطابُ في كذلك حينئذ للحاضرين عند حياة القتيل، ويجوزُ أنْ يكونَ ذلكَ للحاضرين عند نزولِ الآيةِ الكريمة فلا حاجةَ حينئذٍ إلى تقدير القولِ بل تنتهي الحكايةُ عند قوله تعالى ببعضها مع ما قُدّر بعده فالجملة معترضة، أي مثلَ ذلك الإحياءِ العجيبِ يُحيي الله الموتى يوم القيامة(٣) .

وقد جمع الألوسي بين القولين، فقال : والكاف خطابٌ لكلِّ من يصِحُّ أن يخاطب ويسمع هذا الكلام لأن أمر الإحياء عظيم يقتضي الاعتناء بشأنه أن يخاطب به كل من يصح منه الاستماع فيدخل فيه أولئك دخولا أوليا- ويدل على ذلك قوله تعالى: وَيُرِيكُمْ، إلخ، ولا بد على هذا من تقدير القول أي قلنا أو وقلنا لهم كذلك ليرتبط الكلام بما قبله، وقيل: حرف الخطاب مصروف إليهم، وكان الظاهر "كذلكم" على وفق ما بعده إلا أنه

(١) **ينظر**: تفسير البحر المحيط لأبي حيان(٤٢٠/١).

(٢) **ينظر**: إرشاد العقل السليم لأبي السعود(١١٤/١).

(٣) **ينظر**: روح المعاني للألوسي(٢٩٤/١).

أفرده بإرادة كل واحد، أو بتأويل فريقٍ ونحوه قصدًا للتخفيف، ويحتمل أن يكون التكلم مع من حضر نزول الآية، وعليه لا تقدير إذ ينتظم بدونه بل ربما يخرج معه من الانتظام[1] .

وقد تبين مما سبق أنَّ الراجح –إن ترجح أحد القولين– ، أنه خطابٌ لقوم موسى الذين حضرا القتيل، وذلك لاتساق نظم الآيات ، وهو ما أورده الماوردي دون ترجيحٍ؛ ولكنه جعل الخطاب من موسى عليه السلام، وإن كان هذا لا يقدح في كون الخطاب من الله لموسى عليه السلام أم من موسى لقومه ، ولذلك قال الألوسي: ، وأبعد الماوردي فجعله خطابًا من موسى نفسه عليه السلام.

٢– قوله تعالى:﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾ **يوسف: ٥٣**

قال الماوردي في تعيين القائل: فيه ثلاثة أوجهٍ: **أحدها:** أنَّه قول العزيز، أي: وما أبرىء نفسي من سوء الظّن بيوسف.﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ يحتمل وجهين: **أحدهما:** الأمارة بسوء الظن. **الثاني:** بالاتهام عند الارتياب. وقوله تعالى:﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾ يحتمل وجهين: **أحدهما:** إلَّا ما رحم ربي إن كفاه سوء الظَّنِّ. **الثاني:** أن يثنيه حتى لا يعمل. فهذا تأويل من زعم أنه قول العزيز.

الوجه الثاني: أنه قول امرأة العزيز؛ وما أبرىء نفسي إن كنت راودت يوسف عن نفسه لأنَّ النفس باعثةٌ على السوء إذا غلبت الشهوة عليها. ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ﴾ يحتمل وجهين: **أحدهما:** إلَّا ما رحم ربي من نزع شهوته منه. الثاني: إلا ما رحم ربي في قهره لشهوة نفسه ، فهذا تأويل من زعم أنه من قول امرأة العزيز[2].

---

(١) **ينظر**: جامع البيان للطبري(١٤٦/١٦).

(٢) **ينظر**: المصدر السابق (١٤٥/١٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم =

الوجه الثالث: أنه من قول يوسف ، واختلف قائلو هذا في سببه على أربعة أقاويل: **أحدها:** أنَّ يوسف لما قال:﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ **يوسف: ٥٢** ، قالت امرأة العزيز: ولا حين حللت السراويل؟ فقال: وما أبريء نفسي إنَّ النفس لأمّارة بالسوء، قاله السدي[١] .

الثاني: أنَّ يوسف لما قال ذلك غمزه جبريل عليه السلام فقال: ولا حين هممت؟ فقال: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ قاله ابن عباس[٢] .

الثالث: أنَّ الملك الذي مع يوسف قال له: اذكر ما هممت به ، فقال:﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ قاله قتادة[٣] .

الرابع: أن يوسف لما قال:﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ كره نبي الله أن يكون قد زكى نفسه فقال: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ قاله الحسن[٤] .

=

(٢١٥٨/٧)، وهو ضعيف الإسناد لضعف ابن وكيع، والسدي لا يحتج بحديثه. **ينظر**: تهذيب التهذيب.

(١) **ينظر**: جامع البيان للطبري (١٤٥/١٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢١٥٨/٧)، والبيهقي في شعب الإيمان فصل محقرات الذنوب حديث رقم"٦٩٠٨"، (٤١٦/٩)، وهو صحيح الإسناد.

(٢) **ينظر**: جامع البيان للطبري (١٤٢/١٦)، وهو صحيح الإسناد.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة، وهو حسن الإسناد.

(٤) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٤٨/٣، ٤٩).

ويحتمل قوله:﴿ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ وجهين: أحدهما: يعني أنها مائلة إلى الهوى بالأمر بالسوء. الثاني: أنها تستثقل من عزائم الأمور ما إن لم يصادف حزمًا أفضت إلى السوء[١] .

هنا استجمع كل الأقوال التي قيلت في تعيين من القائل، فعلى أنه قول العزيز يُحملُ الكلام على معنى، وعلى أنه قول يوسف يُحملُ على معنى آخر، وعلى أنه قول امرأة العزيز يحمل على معنى آخر كذلك.

وإذا تتبعنا أقوال المفسرين في ذلك نجد الإمام الطبري قال بأن القائل هنا هو يوسف عليه السلام: أي: وما أبرئ نفسي من الخطأ والزلل فأزكيها[٢].

وقد ذهب الزمخشري إلى أنه من قول يوسف عليه السلام، فقال: ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه، لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الأمانة معجبًا ومفتخرًا، **وقيل:** هو من كلام امرأة العزيز، أى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أنى لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة، فإنى قد خنته حين قرفته[٣].[٤]

والإمام الماوردي قد ذكر أنَّ قوله تعالى: "وما أبرئ نفسي" هو من كلام امرأة العزيز، وهو قولٌ لم يقل به أحدٌ قبله ، وقد اعتمده كثيرٌ من

---

(١) **ينظر**: جامع البيان الطبري (١٤٢/١٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٩٦/٢).

(٢) أي حين اتهمته، وهو من: قَرَفٌ من ثوبي، للذي تتَّهمه. وقارَفَ فلانٌ الخطيئةَ، أي خالطها. قارف الخطيئة: خالطها، وهل قارفت ذنباً. وقارف الخطيئة: خالطها، وهل قارفت ذنباً. وقارف امرأته. ولا تكثر من القراف. وهو يقرف بكذا: يتّهم به، وهو مقروف به. وقرفني فلان: وقع فيّ. **ينظر**: الصحاح للجوهري(١٦/١٤)" قرف"، وأساس البلاغة للزمخشري(٧١/١)"قرف".

(٣) **ينظر**: الكشاف الزمخشري (٤٨٠/٢، ٤٨١).

(٤) **ينظر**: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩٨/١٠).

المفسرون بعده ، فقد ذكر ذلك ابن تيمية في الفتاوى، حيث قال: وقوله: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ﴾ فمن كلام امرأة العزيز كما يدل القرآن على ذلك دلالة بينة لا يرتاب فيها من تدبر القرآن حيث قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾ **يوسف: ٥٠ – ٥٣**

فهذا كله كلام امرأة العزيز ويوسف إذ ذاك في السجن لم يحضر بعد إلى الملك ولا سمع كلامه ولا رآه؛ ولكن لما ظهرت براءته في غيبته – كما قالت امرأة العزيز:﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ أي لم أخنه في حال مغيبه عني وإن كنت في حال شهوده راودته– فحينئذ:﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ ﴾ **يوسف: ٥٤** ، وقد قال كثير من المفسرين إن هذا من كلام يوسف ومنهم من لم يذكر إلا هذا القول وهو قول في غاية الفساد ولا دليل عليه؛ بل الأدلة تدل على نقيضه[١] .

وقد ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره ثم قال : وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام.

(١) **ينظر**: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٩٥/٤).

وقد حكاه الماوردي في تفسيره، وانتدب لنصره الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية، رحمه الله، فأفرده بتصنيف على حدة[١] .

وابن جرير الطبري وابن أبي حاتم اللذان يعدان من مصادر الماوردي لم يذكرا سوى نسبة القول ليوسف عليه السلام، ولذلك قال ابن كثير : وهذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم سواه[٢] .

ولعل ذهاب الجمهور إلى أنه من قول يوسف – عليه السلام – جاء اعتمادًا على ما جاء عند ابن جرير وابن أبي حاتم.

وما صاحب تفسير المنار عن قول الماوردي ليس ببعيد؛ حيث انتصر لما قاله الماوردي، فقال: هذا هو المتبادر من نظم الآيتين المناسب للمقام بغير تكلف، ولكن ذهب الجمهور اتباعًا للروايات الخادعة إلى أنهما حكاية عن يوسف –عليه السلام– من باب التواضع وهضم النفس! وهذا المعنى يتبرأ منه السياق والنظم ومرجع الضمير. ومن العجب أنَّ ابن جرير اقتصر عليه[٣] .

وعملًا بقاعدة:" إعادة الضمير إلى المذكور أولى من إعادته إلى مقدر"، وذلك لأنه إذا احتمل السياق إعادة الضمير إلى مذكور أو إعادته إلى مقدر، واختلف العلماء على الاحتمالين، فإعادة الضمير إلى المذكور أولى وأحسن؛ لأن الإعادة إلى المقدر مع الإمكان الإعادة إلى المذكور فيه إخراج للآية عن نظمها دون موجب[٤] .

٣- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾ **النور: ٢٧**

---

(١) **ينظر**: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢) **ينظر**: المنار لمحمد رشيد رضا (٢٦٧/١٢).

(٣) **ينظر**: قواعد الترجيح في التفسير لـ/حسين الحربي صـ(٥٩٣).

(٤) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي(٨٧/٤).

اختلف العلماء في السلام هل هو بعد الإذن أم قبله؟

فقال الماوردي: ﴿ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ والسلام ندبٌ والاستئذان حتمٌ. وفي السلام قولان: **أحدهما:** أنَّه مسنون بعد الإذن على ما تضمنته الآية من تقديم الإذن عليه. **الثاني:** مسنون قبل الإذن وإن تأخر في التلاوة فهو مقدم في الحكم وتقدير الكلام حتى تسلموا وتستأذنوا... . وأولى من إطلاق هذين القولين أن ينظر فإن وقعت العين على العين قبل الإذن فالأولى تقديم السلام، وإن لم تقع العين على العين قبل الإذن فالأولى تقديم الاستئذان على السلام(١) .

وقد ذكر الشهاب الخفاجي قول الماوردي ورجحه، فقال: وفي الأذكار النووية الصحيح المختار تقديم السلام على الاستئذان كما جاءت به السنة(٤)، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها هذا، والثاني: عكسه، والثالث: واختاره الماوردي، وبه يُوَفَّقُ بين الأقوال والروايات أنه إن وقعت عين المستأذن على مَنْ بالمنزل قبل دخوله قدَّم السلام، وإلَّا قَدَّم الاستئذان(٢) .

وقال الألوسي: واختار الماوردي التفصيل وهو أنه إن وقعت عين المستأذن على من في البيت قبل دخوله قدم السلام وإلا قدم الاستئذان(٣) .

وظاهر الآية بأن الاستئذان قبل التسليم وبه قال بعضهم، وقال النووي: الصحيح المختار تقديم التسليم على الاستئذان، فقد أخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: "قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم" السَّلَامُ قَبْلَ الكَلَامِ (٤) ".

---

(١) **ينظر**: الأذكار النووية للنووي (٢٦٠/١)

(٢) **ينظر**: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي" عناية القاضي وكفاية الراضي" (٣٦٩،٣٧٠/٦).

(٣) **ينظر**: روح المعاني للألوسي (٣٣٠/٩).

(٤) **ينظر**: الجامع الكبير" سنن الترمذي" (٥٩/٥) أبواب الاستئذان والأدب، باب ما جاء في السلام قبل الكلام، ضعيف جدًا، وقال الترمذي: حديث منكر الإسناد لا نعرفه =

٤- **قال الله تعالى:** ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ **سبأ: ٤٥**

قال الماوردي: وفي المعشار ثلاثة أوجه: **أحدها:** أنه العشر وهما لغتان. **الثاني:** أنه عشر العشر وهو العشير. **الثالث:** هو عشير العشير ، والعشير عشر العشر ، فيكون جزءًا من ألف جزء ، وهو الأظهر، لأنَّ المراد به المبالغة في التقليل[١] .

أثر هذا الاحتمال على المفسرين: من المفسرين من لم يقل قول الماوردي كالبغوي والزمخشري، فقالوا: والمعشار: هو العشر. والمعشار كالمرباع، وهما: العشر، والربع[٢] .

وقال ابن عطية:" والمعشار مفعال من العشر، ولم يبن على هذا الوزن من ألفاظ العدد غيره وغير المرباع، ومعناهما: العشر والربع. وقال قوم: المعشار عشر العشر. قال ابن عطية: وهذا ليس بشيء[٣] .

أما من اعتبر قول الماوردي وقال به، كالقرطبي، وأبو حيان في البحر، والسمين الحلبي في الدر المصون، والألوسي، والشوكاني، ومحمد صديق خان صاحب "فتح البيان"، قال الشوكاني: "قال الجوهري: ومعشار الشيء عشره[٤] "، وقيل المعشار: عشر العشر، والأول أولى. وقيل إن المعنى: ما بلغ من قبلهم معشار ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى. وقيل ما بلغ من قبلهم معشار شكر ما أعطيناهم. وقيل: ما أعطى الله من قبلهم معشار ما أعطاهم من العلم والبيان والحجة والبرهان، والأول أولى.

=

إلا من هذا الوجه.

(١) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٤/٤٤٥).

(٢) **ينظر**: معالم التنزيل للبغوي (٣/٦٨٥)، والكشاف للزمخشري (٣/٥٨٩).

(٣) **ينظر**: المحرر الوجيز لابن عطية(٤/٤٢٤).

(٤) **ينظر**: الصحاح للجوهري (٢/٧٤٦)" عشر".

ثم نقلوا قول الماوردي :" وقيل: المعشار عشر العشير، والعشير عشر العشر، فيكون جزءًا من ألف جزء، ثمَّ قال الماوردي: وهو الأظهر؛ لأنَّ المراد به المبالغة في التقليل.

ولكن علق الشوكاني على قول الماوردي بقوله" قلت: مراعاة المبالغة في التقليل لا يسوَّغ لأجلها الخروج عن المعنى العربي[١] .

والعجيب أنَّ صاحب "فتح البيان" قال بهذه العبارة كذلك، ونسبها لنفسه، ولا أدري من القائل منهما، إلا أنَّ الشوكاني أولى بها لتقدم وفاته وسبقه على محمد صديق خان.

قال الألوسي: "مِعْشَارَ" أي عشر ما آتَيْنَاهُمْ، وقال: قوم المعشار عشر العشر ولم يرتضه ابن عطية، وقال الماوردي: المراد المبالغة في التقليل أي ما بلغوا أقل قليل مما آتينا أولئك المكذبين من طول الأعمار وقوة الأجسام وكثرة الأموال[٢] .

وقال الماوردي: " المعشار هنا: هو عشر العشير، والعشير هو عشر العشر، فيكون جزءًا من ألف". قال: "وهو الأظهر؛ لأن المراد به المبالغة في التقليل" .

وقيل: والعشر في هذا القول عشر المعشرات، فيكون جزءًا من ألف جزءٍ. قال الماوردي: وهو الأظهر، لأن المراد به المبالغة في التقليل[٣] .

وأقول: إنَّ الماوردي أورد ثلاثة أوجهٍ: الأول متفقٌ عليه، وهو العشر، والثاني والثالث وهو عشر العشير أي عشر الألف، وعشير العشير وهو جزء من ألف جزء، مختلفٌ فيهما عليه، وهو وإن كان جاء بوجهين لم يأت بهما أحدٌ قبله، لكنَّ بعض العلماء خالفه في ذلك، وبعضهم وافقه فيه، وانتقد

---

(١) **ينظر**: الدر المصون للسمين(١٩٨/٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٣١٠/١٤)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٨٢)، وفتح البيان لمحمد صديق خان (٢٠٦/١١).

(٢) **ينظر**: روح المعاني للألوسي (٣٢٧/١١).

(٣) **ينظر**: تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٥٦٠/٨).

قوله بعد ذلك الشوكاني بأنَّ مراعاة المبالغة في التقليل لا يسوَّغ لأجلها الخروج عن المعنى العربي ، وقال بقول الماوردي صاحب إعراب القرآن وبيانه[١] .

٥- قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾ **الكوثر: ١**

ذكر الماوردي تسعة أقوالٍ في معنى الكوثر، وذكر منها ما هو مأثورٌ ومنها ما اجتهد في تحصيل معناه، فقال: فيه تسعة تأويلات: **أحدها:** أن الكوثر النبوة، قاله عكرمة[٢]. **الثاني:** القرآن، قاله الحسن[٣]. **الثالث:** الإسلام، حكاه المغيرة[٤]. **الرابع:** أنه نهر في الجنة، رواه ابن عمر وأنس مرفوعًا[٥]. **الخامس:** أنه حوض النبي صلى الله عليه وسلم الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة قاله عطاء[٦]. **السادس:** أنه الخير الكثير، قاله ابن

---

(١) **ينظر**: إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش (١٠٦/٨).

(٢) **ينظر**: جامع البيان للطبري(٦٤٨/٢٤).

(٣) **ينظر**: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣٤٧٠/١٠).

(٤) **ينظر**: جامع البيان الطبري(٦٤٥/٢٤)، والحديث عن أنس، قال: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ» فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣ ﴾ **الكوثر: ١- ٣**، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ". أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة (٣٠٠/١).

(٥) **ينظر**: جامع البيان للطبري (٦٤٥/٢٤).

(٦) **ينظر**: المصدر السابق (٦٤٧/٢٤).

عباس[١]. **السابع:** أنه كثرة أمته، قاله أبو بكر بن عياش[٢] . **الثامن:** أنه الإيثار، قاله ابن كيسان[٣] . وما قاله من اجتهاده محتملًا، قوله **تاسعًا:** أنَّه رفعة الذكر، وهو فوعل من الكثرة[٤] .

وقد نقل عن الماوردي قوله تاسعًا، فقال القرطبي: حكى الماوردي: التَّاسِعُ- أَنَّهُ رِفْعَةُ الذِّكْرِ[٥] ، ونقله ابن عادل في تفسيره، فقال: وحكى الماورديُّ: أنه رفعة الذكر[٦] .

ونقل الطاهر ابن عاشور عنه كل الأقوال، ثم ذكر ما احتمله الماوردي، فقال: وحكى الماوردي أنه رفعة الذكر، وأنه نور القلب، وأنه الشفاعة، ثم قال: وكلام النبي صلى الله عليه وسلم المروي في حديث أنس لا يقتضي حصر معاني اللفظ فيما ذكره. [٧].

وبعد عرض هذه الأقوال: فقد رجح الطبري القول القائل بأنه وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي، قول من قال: هو اسم النهر الذي أُعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة، وصفه الله بالكثرة، لعِظَم قدره. وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك، لتتابع الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك كذلك[٨] .

ولكن ما رجحه كثير من العلماء بأنه الخير الكثير، ويكون الأول من قبيل التمثيل لا التعيين والحصر، وكلمة الخير تعم جميع ما أنعم الله به

---

(١) **ينظر**: المصدر السابق (٦٤٥/٢٤).

(٢) **ينظر**: المصدر السابق (٦٤٥/٢٤).

(٣) **ينظر**: المصدر السابق (٦٤٥/٢٤).

(٤) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٣٥٤/٦، ٣٥٥).

(٥) **ينظر**: الجامع لأحكام القرآن الكريم القرطبي (٧١٢/٢٠).

(٦) **ينظر**: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٥٢١/٢٠).

(٧) **ينظر**: التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٧٣/٣٠).

(٨) **ينظر**: جامع البيان للطبري (٦٤٥/٢٤).

على نبيه صلى الله عليه وسلم. ولذلك قال ابن عاشور: وكلام النبي صلى الله عليه وسلم المروي في حديث أنس لا يقتضي حصر معاني اللفظ فيما ذكره[١] . ولكن ما ذكر عن الماوردي في احتماله لا يُهمل، نقله عنه كثير من المفسرين وهو يدل على ما أنعم الله على نبيه برفعة الذكر.

المبحث الثالث: الاحتمالات التي خالف فيها المفسرون الماوردي.

إذا كان للإمام الماوردي أثرٌ في موافقة ممن جاء بعده من المفسرين؛ فإن له الأثر كذلك في مخالفة المفسرين له، ومن أبرز من خالفه في كثيرٍ مما جاء به، الإمام برهان الدين الكرماني[٢] في تفسيره" غرائب التفسير وعجائب التأويل" فكثيرًا ما يعبر عن عبارة الماوردي بالعجيب والغريب، ويعلق على قوله[٣]، وكذلك غيره من المفسرين قد خالفوا الإمام الماوردي، كثيرٌ وأعرض هنا أبرز ما خالف فيه المفسرون بعده .

١- ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ **البقرة:**

قال الماوردي: المراد من﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ ألمَّ بكم ذلك الكتاب. أي نزل عليكم، والإلمام الزيارة[٤] .

وعند قوله تعالى:﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ﴾ **الأعراف: ١ – ٢**

---

(١) **ينظر**: التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٧٣/٣٠).

(٢) **هو**: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم الكرماني المعروف بتاج القراء، مؤلف كتاب خط المصاحف وكتاب الهداية في شرح غاية ابن مهران وكتاب لباب التفاسير وكتاب البرهان في معاني متشابه القرآن، إمام كبير محقق ثقة كبير المحل، وتوفي سنة(٥٠٥هـ).**ينظر**: غاية النهاية(٢٩١/٢)، وطبقت المفسرين للداوودي(٣١٢/٢).

(٣) **ينظر**: عجائب التفسير وغرائب التأويل للكرماني (٥٠٩/١)، (٥٨٦/١)، (٨٣٣/٢)، (١١٤٥/٢).

(٤) **ينظر**: الكنت والعيون للماوردي(٦٦/١).

فيذكر أقوالًا ثم يذكر احتمالًا: فيقول: ويحتمل عندي قولًا عاشرًا: أن يكون المراد به: المصير إلى كتاب أنزل إليك من ربك ، فحذف باقي الكلمة ترخيمًا وعبر عنه بحروف الهجاء لأنها تذهب بالسامع كل مذهب ، وللعرب في الاقتصار على الحروف مذهب كما قال الشاعر:(قلت لها قفي فقالت قاف ... ... [١].) أي وقفت[٢] .

دراسة الاحتمال:

الحديث عن الحروف المقطعة في فواتح السور حديثٌ تكلم العلماء فيه كثيرًا، وذكروا أقوالًا، ورجحوا منها ما رجحوه، والراجح عندهم: أنها "حروف سيقت مساق التهجي مسرودة على نمط التعديد في التهجية تبكيتًا للمشركين وإيقاظًا لنظرهم في أن هذا الكتاب المتلو عليهم وقد تحدوا بالإتيان بسورة مثله هو كلام مؤلف من عين حروف كلامهم كأنه يغريهم بمحاولة المعارضة ويستأنس لأنفسهم بالشروع في ذلك بتهجي الحروف ومعالجة النطق تعريضا بهم بمعاملتهم معاملة من لم يعرف تقاطيع اللغة، فيلقنها كتهجي الصبيان في أول تعلمهم بالكتاب حتى يكون عجزهم عن المعارضة بعد هذه المحاولة عجزا لا معذرة لهم فيه، فناسب افتتاح ما به الإعجاز بالتمهيد لمحاولته، ويؤيد هذا القول أن التهجي ظاهر في هذا المقصد فلذلك لم يسألوا عنه لظهور أمره وأن التهجي معروف عندهم للتعليم فإذا ذكرت حروف الهجاء على تلك الكيفية المعهودة في التعليم في مقام غير صالح للتعليم عرف السامعون أنهم عوملوا معاملة المتعلم لأن حالهم كحاله في العجز عن الإتيان بكلام بليغ، ويعضد هذا الوجه تعقيب هاته الحروف في

---

(١) البيت هو: قُلْنَا لها: قِفِي لنا، قالت: قافْ ... لا تَحْسَبي أنَّا نَسِينا الإيجاف ، وهو للوليد بن عقبة، وبحره الرجز. **ينظر**: الأغاني(١٣١/٥)، وشرح شواهد الشافية صـ(٢٧١).

(٢) **ينظر**: الكنت والعيون للماوردي (١٩٩/٢).

غالب المواقع بذكر القرآن وتنزيله أو كتابيته إلا في "كهيعص"، و"الم أحسب الناس"، والم غلبت الروم"[١] .

ولكنَّ بعض العلماء أخذ يتأولها ويجعل لها معنى مقصودًا فقد ذكر الطبري أن من العلماء من قال: هي أسماء للقرآن، وبعضهم: هي أسماء للسور، وبعضهم قال هي أقسام أقسم الله بها، ومن أسماء الله تعالى. وبعضهم قال: هو حُرُوف مقطَّعةٌ من أسماء وأفعالٍ، كلُّ حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر. فـ" الم" أنا الله أعلم، و"الر" أنا الله أرى، إلى آخر ما ذكر من أقوالٍ[٢] .

وممن تأول هذه الحروف الإمام الماوردي؛ حيث قال: المراد من ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ ألمَّ بكم ذلك الكتاب.

وقد تتبعه العلماء في ذلك، فقد ذكر الرازي قوله، فقال: قال القاضي الماوردي: المراد من﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ أنه ألمَّ بكم ذلك الكتاب. أي نزل عليكم، والإلمام الزيارة، وإنَّما قال تعالى ذلك؛ لأنَّ جبريل عليه السلام نزل به نزول الزائر[٣] .

وكذلك تبعه النيسابوري في تفسيره، فقال: القاضي الماوردي: معناه ألم بكم ذلك الكتاب أي نزل، وهذا لا يتأتى في كل فاتحة[٤] .

وقال صاحب التحرير والتنوير: قال الماوردي: هي أفعال فإنَّ حروف "المص كتاب" فعل ألم بمعنى نزل فالمراد الم ذلك الكتاب أي: نزل عليكم، ويبطل كلامه أنها لا تقرأ بصيغ الأفعال على أنَّ هذا لا يتأتَّى في جميعها

---

(١) **ينظر**: الكشاف للزمخشري (٢٧/١)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢١/١)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢١٢/١).

(٢) **ينظر**: جامع البيان للطبري (٢٠٥/١-٢٢٥).

(٣) **ينظر**: مفاتيح الغيب للرازي (٢٥٤/٢).

(٤) **ينظر**: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (١/ ١٣٣).

نحو كهيعص والمص والر، ولولا غرابة هذا القول لكان حريًّا بالإعراض عنه[١].

وقال أبو حيان: "المص" أنا الله المصير إلي، حكاه الماوردي أو المصير كتاب فحذف الياء والراء ترخيمًا وعبر عن المصير بالمص[٢].

وذكر ابن الجوزي قوله؛ فقال: المصير إلى كتاب أنزل إليك، ذكره الماوردي[٣].

وأقول: إنَّ ما نقل عن الماوردي في هذا الباب ليس نقل تسليم، بل مجرد ذكر الاحتمال، وهذا عند ذكر من تأول هذه الحروف، من ثَمَّ توجهوا إليه بالنقد والردِّ.

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ **النحل: ٧٧**

قال الماوردي: قوله:﴿ كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾ هو مسافة ما يلمحه البصر[٤].

دراسة الاحمال:

قال الزجاج: ليس يريد أنَّ الساعةَ تأتي في أقربَ من لمح البصر، ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها[٥].

قال الكرماني: قوله:﴿ كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾ كرجعِ طرفٍ. العجيب: هو مسافة ما يلمحه البصر. حكاه الماوردي، وفيه بعد. لأن المراد بلمح

(١) **ينظر**: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١٢/١).
(٢) **ينظر**: البحر المحيط لأبي حيان (٥٦٨/٦).
(٣) **ينظر**: زاد المسير لابن الجوزي (١٠٠/٢).
(٤) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٠٥).
(٥) **ينظر**: معاني القرآن للزجاج (٢١٤/٣).

البصر، السرعة والسهولة، وضرب المثل به لأنه لا يعرف زمان أقل منه[١].

وقد تبع الزجاج في قوله جمهور المفسرين؛ حيث ذكر قول هذا كثير من المفسرين، كأبي حيان والخازن والألوسي والقرطبي[٢]، وغيرهم .

وقال الزمخشري: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أى يختصّ به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه. أو أراد بغيب السموات والأرض: يوم القيامة، على أن علمه غائب عن تراخٍ، كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه: هو كلمح البصر أو هو أقرب، إذا بالغتم في استقرابه[٣].

وقد جمع الطاهر ابن عاشور بين المسافة المكانية والمسافة الزمانية؛ حيث قال: ولمح البصر: توجهه إلى المرئي لأن اللمح هو النظر. ووجه الشبه هو كونه مقدورا بدون كلفة، لأنَّ لمح البصر هو أمكن وأسرع حركات الجوارح فهو أيسر وأسرع من نقل الأرجل في المشي ومن الإشارة باليد، وبذلك يكون الكلام إثباتًا لإمكان الوقوع وتحذيرًا من الاغترار بتأخيره.

ويجوز أن يكون وجه الشبه السرعة، أي سرعة الحصول عند إرادة الله، أي ذلك يحصل فجأة بدون أمارة، والمقصود: إنذارهم وتحذيرهم من أن تبغتهم الساعة ليقلعوا عما هم فيه من وقت الإنذار. ولا يتوهم أن يكون البصر تشبيها في سرعة الحصول إذ احتمال معطل لأن الواقع حارس منه.

ثمَّ المراد بالقرب في قوله تعالى: أقرب على الوجه الأول في تفسير لمح البصر هو القرب المكاني كناية عن كونه في المقدورية بمنزلة الشيء القريب التناول كقوله تعالى:﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ **ق: ١٦**،

---

(١) **ينظر**: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني (٦١٤/١).

(٢) **ينظر**: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٩١/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١٥٠/١٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٨٦/٦)، وروح المعاني للألوسي (٤٣٦/٧).

(٣) **ينظر**: الكشاف للزمخشري (٦٢٣/٢).

وعلى الوجه الثاني في تفسيره يكون القرب قرب الزمان، أي أقرب من لمح البصر حصة، أي أسرع حصولًا، والتذييل بقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٧٧ ﴾ صالح لكلا التفسيرين[١] .

وقال النسفي: "وَمَآ أَمۡرُ الساعة" في قرب كونها وسرعة قيامها "إِلاَّ كَلَمْحِ البصر" كرجع طرف وإنما ضرب به المثل لأنه لا يعرف زمان أقل منه "أَوْ هُوَ" أي الأمر "أَقْرَبُ" وليس هذا لشك المخاطب ولكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتبار، وقيل بل هو أقرب[٢].

وأقول: وعلى كلٍّ فإنَّ التعبير هنا بلمح البصر، أو هو أقرب ما هو إلَّا تمثيلٌ لقدرة الله؛ حتى قوله " أو هو أقرب" على أن "أو" بمعنى "بل" فهو استدراكٌ لما هو أقل أو أسر من لمح البصر إن وجِدَ ذلك؛ فكأنه استقصاءٌ لقدرة الله تعالى، ولذلك ذيلها بقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٧٧ ﴾، وعلى هذا يكون احتمال الماوردي بأنه بيانٌ لقدرة الله بلمح البصر وليس تمثيلًا، يُعدُّ غريبًا في التأويل.

٣- وقوله تعالى: ﴿ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ٤١ ﴾ **الكهف: ٤١**

قال الماوردي: ﴿ فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ٤١ ﴾ ويحتمل وجهين: **أحدهما:** فلن تستطيع رد الماء الغائر. **الثاني:** فلن تستطيع طلب غيره بدلًا منه، وإلى هذا الحد انتهت مناظرة أخيه وإنذاره[٣] .

دراسة الاحتمال: هنا ذكر احتمالين في عود الضمير "له"؛ إما للماء المخصوص بجنته، أو الماء المطلق، وقد حكى قوله القرطبي نصًّا دون

(١) **ينظر**: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤/٢٣٠، ٢٣١).
(٢) **ينظر**: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي(٢/٢٢٥).
(٣) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٠٨).

نسبته إلى الماوردي[١]، وحكاه أبو حيان كذلك عن الماوردي، فقال: والضمير في له عائد على الماء أي لن يقدر على طلبه لكونه ليس مقدورًا على رد ما غوره الله تعالى. وحكى الماوردي أن معناه: لن تستطيع طلب غيره بدلا منه[٢] .

قال الألوسي: ﴿ فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ ﴾ أي للماء الغائر طَلَباً تحركا وعملا في رده وإخراجه، وقيل: ضمير "له" للماء مطلقًا لا للماء المخصوص، أي: فلن تستطيع لماءٍ لها بدل ذلك الماء الغائر طلبًا، وهو الذي يقتضيه كلام الماوردي إلا أنه خلاف الظاهر[٣] .

وهذا على أنَّ ما أصابه أصابه في جنته وما أحاط بها من الدمار، فالكلام هنا على الجنة وعلى ما فيها من ماءٍ، فالكلام على مطلق الماء يكون على خلاف ظاهر السياق، ولذلك ردَّه الألوسي.

٤- قوله تعالى: ﴿ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ **الفرقان: ٨**

قال الماوردي: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ فيه وجهان. **أحدهما:** سُحِرَ فزال عقله. **الثاني:** أي سَحَرَكُمْ فيما يقوله[٤] .

وقد عدَّ الكرماني قول الماوردي هذا من العجائب وردَّ قوله؛ فقال: العجيب: الماوردي: سَحَر لكم فيما تقوَّله. وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ مَنْ سحَر يكون ساحراً لا مسحورًا[٥] .

وقال الألوسي: سُحِرَ فغلب على عقله فالمراد بالسحر ما به اختلال العقل، وقيل: أصيب سحره أي رئته فاختل حاله كما يقال مرؤوس

(١) **ينظر**: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١٠/٤٠٩).
(٢) **ينظر**: البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ١٨١).
(٣) **ينظر**: روح المعاني للألوسي (٨/ ٢٦٧).
(٤) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٤/ ١٣٣).
(٥) **ينظر**: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني (٢/ ٨٠٩).

أي أصيب رأسه، وقيل: يسحر بالطعام وبالشراب أي يغذى أو ذا سحر أي رئة على أن مفعول للنسب وأرادوا أنه عليه الصلاة والسلام، بشر مثلهم، وقيل: أي ذا سحر بكسر السين وعنوا- قاتلهم الله تعالى- ساحرًا، والأظهر على ما في البحر[١] التفسير الأول[٢] .

وقال أبو السعود: أي: قد سُحرَ فغُلبَ على عقلِه، وقيل ذَا سَحْرٍ وهي الرِّئةُ أي بَشراً لا مَلكاً على أنَّ الوصفَ لزيادة التَّقريرِ والأوَّلُ هو الأنسبُ بحالِهم[٣] .

وأقول: إن ما جاء عن جمهور المفسرين من أقوالٍ، لم يقل أحدٌ منهم أنَّ المراد بقوله "مسحورًا" أنه ساحرٌ، ولذلك عدَّه الكرماني من العجائب واستبعده، واستنكر الألوسي كذلك.

٥- **قوله تعالى:** ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّى لِيَبۡلُوَنِىٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ **النمل: ٤٠**

عدَّ الماوردي خمسة أقوالٍ في معنى ارتداد الطرف في قوله تعالى: ﴿قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ ﴾ **أحدها:** قبل أن يأتيك أقصى من تنظر إليه، قاله ابن جبير. **الثاني:** قبل أن يعود طرفك إلى مد بصرك، قاله ابن عباس، ومجاهد. **الثالث:** قبل أن يعود طرفك إلى مجلسك، قاله إدريس. **الرابع:** قبل الوقت الذي تنظر وروده فيه من قولهم: أنا ممد الطرف إليك أي منتظر لك، قاله ابن بحر. **الخامس:** قبل أن يرجع طرف رجائك خائبًا لأن الرجاء يمد الطرف والإياس يقصر الطرف[٤] .

---

(١) **ينظر**: تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٨٤/٨).
(٢) **ينظر**: روح المعاني للألوسي (٤٢٨/٩).
(٣) **ينظر**: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢٠٦/٤).
(٤) **ينظر**: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٨٨٧/٩-٢٨٩).

ثم ذكر احتمالًا **سادسًا:** وهو: أي: قبل أن ينقص طرفك بالموت ، أخبره أنه سيأتيه قبل موته[١] .

دراسة الاحتمال:

نقل الماوردي خمسة أقوالٍ ونسبها، وكلها في حيّز القبول، ولكن ما ذكره الماوردي نفسه من قولٍ سادسٍ، وهو: قبل أن ينقص طرفك بالموت، أخبره أنه سيأتيه قبل موته، فقد ردَّه العلماء؛ وذلك لما أنه يتنافى مع إظهار القدرة لدى الذي عنده علمٌ من الكتاب.

ولذلك قال أبو حيان: وقال الماوردي: قبل أن ينقبض إليك طرفك بالموت، فخبره أنه سيأتيه قبل موته، وهذا تأويل بعيد، بل المعنى آتيك به سريعا. وقيل: ارتداد الطرف مجاز هنا، وهو من باب مجاز التمثيل، والمراد استقصار مدة الإتيان به، كما تقول لصاحبك: افعل كذا في لحظة، وفي ردة طرف، وفي طرفة عين، تريد به السرعة، أي آتيك به في مدة أسرع من مدة العفريت[٢] .

وعدَّه الكرماني من العجائب؛ فقال: العجيب: الماوردي، قبل أن ينقبض طرفك بالموت، يريد: سيأتيه به قبل موته، وهذا تأويل قبيح، بل المعنى آتيك به سريعا، فقد يقول الإنسان أفعل هذا في لحظة وطرفة عين، وهو يريد السرعة. وقيل غير ذلك[٣] .

والظاهر أنَّ قوله: قبل أن تقوم من مقامك وقوله: قبل أن يرتد إليك طرفك مثلان في السرعة والأسرعية[٤] .

وأقول: إنَّ قول الماوردي هذا مما لا يليق بمقام إظهار القوة سواء من العفريت أم من الذي عنده علم من الكتاب، لأنهما تنافسا في إظهار سرعة قوتهما في إحضار العرش.

---

(١) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٤/٢١٣، ٢١٤).
(٢) **ينظر**: البحر المحيط لأبي حيان (٨/٢٤٠، ٢٤١).
(٣) **ينظر**: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني (٢/٨٥١).
(٤) **ينظر**: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/٢٧١).

٦- **قولـه تعـالى:**﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨ ﴾ **النمل:** ٨٨

قـال المـاوردي: قولـه:﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ﴾ أي واقفـة. ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ ﴾ أي لا يرى سيرها لبعد أطرافها كما لا يرى سير السحاب إذا انبسط لبعد أطرافه وهذا مثل ، وفيما ضُرِبَ لـه ثلاثـة أقاويل: **أحدها:** أنه مثل ضربه الله تعالى للدنيا يظن الناظر إليها أنها واقفة كالجبال وهي آخذة بحظها من الزوال كالسحاب ، قاله سهل بن عبد الله[١] . **الثـاني:** أنـه مثـل ضـربه الله للإيمـان ، تحسـبه ثابتًـا فـي القلـب وعملـه صـاعد إلـى السـماء. **الثالــث:** أنـه مثَـلٌ للـنفس عنـد خـروج الـروح والـروح تسـير إلـى القدس[٢].

دراسة الاحتمال:

جمهور المفسرين على أنَّ الرؤية حقيقة، وليست عبارة عن ضرب مثلٍ؛ فقد ذكر الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قولـه:﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ﴾ أي واقفة.﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ ﴾ لأنها تجمع ثم تسير، فيحسب رائيها لكثرتها أنها واقفة، وهي تسير سيرًا حثيثًا[٣] .

وقال أبو حيان: هو من رؤية العين تحسبها حال من فاعل ترى، أو من الجبال. وجامدة، من جمد مكانه إذا لم يبرح منه، وهذه الحال للجبال عقيب النفخ في الصور، وهي أول أحوال الجبال، تموج وتسير، ثم ينسفها الله فتصير كالعهن، ثم تكون هباءً منبثا في آخر الأمر[٤] .

---

(١) **ينظر:** تفسير القرآن العظيم للتستري (١٧٧/١).
(٢) **ينظر:** النكت والعيون للماوردي (٢٢٩/٤).
(٣) **ينظر:** جامع البيان للطبري (٥٠٦/١٩).
(٤) **ينظر:** تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٢٧٢/٨).

وقال الألوسي: إن حسبان الرائي إياها جامدة مع مرورها لهول ذلك اليوم فليس له ثبوت ذهن في الفكر في ذلك حتى يتحقق كونها جامدة وليس بذاك وقد أدمج في التشبيه المذكور تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ ﴾ **القارعة: ٥** [1] .

وممن ردَّ قول الماوردي ابن عاشور؛ حيث قال: وقال الماوردي: قيل هذا مثل ضربه الله، أي وليس بخبر.... ولا يخفى على الناقد البصير بعد هذه التأويلات الثلاثة لأنه إن كان الجبال مشبهًا بها فهذه الحالة غير ثابتة لها حتى تكون هي وجه الشبه وإن كان لفظ الجبال مستعارًا لشيءٍ، وكان مرُّ السحاب كذلك كان المستعار له غير مصرحٍ به ولا ضمنيًّا[2] .

وأقول: ومن هذا يتبين أنَّ الآية تذكر حقيقةً كونيةً؛ إما في الدنيا، وإما يوم القيامة، وعلى كلٍّ من القولين، فليس فيهما ضرب مثلٍ؛ بل هو ذكرٌ لما يحدث أو ما سيحدث، وبهذا يكون ضرب المثل مردودًا، وما ذكره الماوردي من أقوال أدرجها مردودةٌ كذلك.

٧- قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٤ ﴾ **العنكبوت: ١٤**

قال الماوردي: فإن قيل: فلم قال ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ ولم يقل تسعمائة وخمسين عامًا فعنه جوابان: أحدهما: أن المقصود به تكثير العدد فكان ذكر الألف أفخم في اللفظ وأكثر في العدد. الثاني: ما روي أنه أعطي من العمر ألف سنة فوهب من عمره خمسين سنة لبعض

(١) **ينظر**: روح المعاني للألوسي (١٠/٢٤٤).
(٢) **ينظر**: التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٠/ ٤٨).

ولده فلما حضرته الوفاة راجع في استكمال الألف فذكر الله ذلك تنبيهًا على أن النقيصة كانت من جهته[١] .

دراسة الاحتمال:

ذكر الماوردي قولين؛ أحدهما المراد منه تفخيم اللفظ وتكثير العدد، والثاني تحديد العدد واستقصاؤه، ولكن بطريقٍ مخالفٍ لما عليه جمهور المفسرين، وقال بأنه قد وهب خمسين سنة لبعض ولده.

فأما الأول فقد قاله بعض المفسرين، وذلك لأنَّ الألف إلا خمسين تتساوى مع تسعمائة وخمسين، ولكنَّ التعبير بالألْف أفخم لفظًا وأكثر ذهنًا.

قال أبو السعود: ولعلَّ مَا عليهِ النظمُ الكريمُ للدِّلالةِ على كمال العددِ فإن تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرُب منه ولَما في ذكرِ الألفِ من تخييلِ طولِ المدَّةِ فإنَّ المقصودَ من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان عليه من مُكابدةِ ما يناله من الكفرةِ وإظهارُ ركاكةِ رأي الذين يحسبونَ أنَّهم يُتركون بلا ابتلاءٍ واختلافُ المميزِ لما في التَّكريرِ من نوع بشاعةٍ[٢] .

وأوضح الزمخشري أنَّ العدد هنا مذكورٌ بتمامه، ولكن طريقه أكثر استيفاءً للعدد، فقال: فإن قلتَ: هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة؟ **قلت:** ما أورده الله أحكم. لأنَّه لو قيل كما قلت، لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره، وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك، وكأنَّه قيل: تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد، إلا أنّ ذلك أخصر وأعذب لفظًا وأملأ بالفائدة، وفيه نكتة أخرى: وهي أنَّ القصة مسوقة لذكر ما ابتلى به نوح عليه السلام من أمّته وما كابده من طول المصابرة، تسليةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٧٩).

(٢) **ينظر**: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣٣/٧).

وتثبيتًا له، فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه، أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدّة صبره[١] .

قال أبو حيان: لأنَّ التعبير عن المدة المذكورة بما عبر به، لأن ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكبر منه أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدة صبره، ولإزالة التوهم الذي يجيء مع قوله: تسعمائة وخمسون عامًا، بأن ذلك على سبيل المبالغة لا التمام، والاستثناء يرفع ذلك التوهم المجازي[٢] .

وقد استنكر ذلك الكرماني، وعدَّه من العجائب، ووصفه بالترهات[٣] ، فقال: العجيب: كان عمرُة ألفَ سنة، فَوَهب منها خمسين لابنٍ لَه، فذكر الله ألفَ سنةٍ تنبيها على أن النقيصة كانت من جهته، حكاه الماوردي. وهذا من الترهات، وإنما ذكر سبحانه ألف سنةٍ تفخيمًا وتعظيمًا، لأنَّ الألف في كل شيء كثير، ثم استثنى ليقع الصدق في المدة، وقيل: لأن الرجل إذا قال لي تسعة دراهم احتمل أنه يكون فيها نقص، وإذا قال: لي عشرة دراهم إلا واحدًا لم يحتمل النقص[٤] .

وأقول: ما ذكره العلماء في هذا الشأن يرد ما حكاه الماوردي من هبة نوح عليه السلام لبعض ولده خمسين عامًا، وقد ذكر القرطبي ذلك عن الماوردي بلفظه[٥] . وذكر العلماء أنَّ الكلام هنا على سبيل المبالغة والتفخيم، أو على استيفاء العدد بطريقٍ بليغٍ محكم.

هذا؛ وبالله التوفيق فهو نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) **ينظر**: الكشاف للزمخشري (٤٤٥/٣).

(٢) تره: قال الأصمعي: التُّرَهاتُ: الطرقُ الصغار غير الجادّة تتشعَّبُ عنها، الواحدةُ تُرَّهَةٌ (تره) التاء والراء والهاء كلمة ليست بأصل متفرع منه. قالوا: الترهات، والتره الأباطيل من الأمور. الصحاح للجوهري (٢٢٢٩/٦) "تره"، ومعجم مقاييس اللغة(٣٤٦/١) "تره"

(٣) **ينظر**: البحر المحيط لأبي حيان (٣٤٧/٨).

(٤) **ينظر**: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني (٢/ ٨٧٨).

(٥) **ينظر**: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٣٤/١٣).

الخاتمة

وتتضمن أهم النتائج والتوصيات

أولًا: النتائج:-

١- إن تفسير الماوردي يُعد من أهم التفاسير جمعًا للأقوال، وكذلك جمعًا بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي.

٢- عناية المفسرين بتفسير الإمام الماوردي لدرجة النقل الخالص عنه في كثيرٍ مما ذكره.

٣- كثرة الاحتمالات التي أوردها الماوردي في تفسيره؛ جديرة بالدراسة للوقوف على مدى إثرائها للمادة التفسيرية.

٤- الاحتمالات الواردة في تفسير الماوردي منها ما هو إضافة كبيرة، وهو كثير، ومنها ما هو مردودٌ بتعقب العلماء لهذه الاحتمالات.

٥- مدى تحري الماوردي عند ذكر الاحتمالات، وقد أشار أنها مما سنح به الخاطر؛ فهو لم يجزم بقولٍ ولم يقطع باحتمالٍ.

ثانيًا: التوصيات:-

١- العناية بتفسير الماوردي، سيما الاحتمالات التي ذكرها، وذلك عن طريق الدراسة الاستقرائية التحليلية، وذلك لغزارة هذه المادة.

٢- الوقوف على ما استدركه المفسرون على الماوردي في تفسيره.

هذا، وبالله التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم

ثانيًا: التفسير وعلوم القرآن

١- **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**: أحمد ابن محمد ابن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت: ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ.

٢- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم " تفسير أبي السعود "** : لأبي السعود محمد ابن محمد ابن مصطفى العمادي (ت:٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت – لبنان .

٣- **إعراب القرآن**: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد ابن محمد ابن إسماعيل ابن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

٤- **إعراب القرآن وبيانه**: محيي الدين ابن أحمد مصطفى درويش (ت : ١٤٠٣هـ)،الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)،(دار ابن كثير – دمشق– بيروت)،الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ

٥- **إيجاز البيان عن معاني القرآن**: محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت: نحو ٥٥٠هـ) تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي– دار الغرب الإسلامي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.

٦- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**: ناصر الدين أبي سعيد عبد الله ابن عمر الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، طبعة: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٨هـ.

٧- **البحر المحيط في التفسير**: لأبي حيان محمد ابن يوسف ابن علي ابن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) ، طبعة : دار الفكر- بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ .

٨- **التحرير والتنوير** " **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**" : محمد الطاهر ابن محمد ابن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ)، طبعة : الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة : ١٩٨٤ هـ .

٩- **تفسير القرآن**: لأبي المظفر، منصور ابن محمد السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٠-**تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**: محمد رشيد ابن علي رضا ابن محمد شمس الدين ابن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة: ١٩٩٠ م.

١١-**تفسير القرآن العظيم**: لأبي محمد عبد الرحمن ابن محمد ابن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت:٣٢٧هـ) طبعة: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ .

١٢-**تفسير القرآن العظيم**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي (ت:٧٧٤هـ) طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية١٤٢٠هـ- ١٩٩٩ م .

١٣-**تفسير القرآن العظيم**: أبو محمد سهل ابن عبد الله ابن يونس ابن رفيع التُستري (ت: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود – منشورات محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣هـ.

١٤-**جامع البيان في تأويل القرآن:** محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة : مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
١٥-**الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي** : أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) ، طبعة : دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م .
١٦-**حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي**، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: شهاب الدين أحمد ابن محمد ابن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ). دار النشر: دار صادر – بيروت.
١٧-**الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:** أبو العباس، شهاب الدين، أحمد ابن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ) تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
١٨-**الدر المنثور في التفسير بالمأثور** : عبد الرحمن ابن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، طبعة : دار الفكر – بيروت
١٩-**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** : شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) ، طبعة : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .
٢٠-**زاد المسير في علم التفسير:** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي ابن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.
٢١-**غرائب التفسير وعجائب التأويل:** محمود ابن حمزة ابن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.
٢٢-**غرائب القرآن ورغائب الفرقان:** نظام الدين الحسن ابن محمد ابن حسين القمي النيسابوري (ت:٨٥٠هـ) تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٦ هـ.

٢٣-**فتحُ البيان في مقاصد القرآن** : أبو الطيب محمد صديق خان ابن حسن ابن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، طبعة : ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

٢٤-**فتح القدير**: محمد ابن علي ابن محمد ابن عبد الله الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، طبعة: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة:١٤١٤هـ.

٢٥-**قواعد الترجيح عند المفسرين "دراسة نظرية تطبيقية"**: حسين الحربي ، دار القاسم ، الطبعة الأولى ، سنة : ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

٢٦-**قواعد التفسير جمعًا ودراسةً**: خالد ابن عثمان السبت، طبعة دار ابن عفان.

٢٧-**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٨-**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**: أحمد ابن محمد ابن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) ، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م .

٢٩-**لباب التأويل في معاني التنزيل**: علاء الدين علي ابن محمد ابن إبراهيم بالخازن (ت: ٧٤١هـ) ، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة : الأولى، ١٤١٥ هـ .

٣٠-**مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**: جمع وترتيب / عبد الرحمن ابن محمد ابن قاسم ، طبعة : وزارة الأوقاف السعودية ، سنة : ٢٠٠٤ هـ .

٣١-**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ) ، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة : الأولى - ١٤٢٢ هـ .

٣٢-**تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل):** أبو البركات عبد الله بن أحمد ابن محمود حافظ الدين النسفي (ت:٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، وراجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٣٣-**معالم التنزيل في تفسير القرآن= تفسير البغوي:** محيي السنة ، أبو محمد الحسين ابن مسعود ابن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٠هـ) ، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

٣٤-**معاني القرآن الكريم** : للإمام أبي جعفر النحاس ، طبعة : جامعة أم القرى – مكة المرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .

٣٥-**معاني القرآن وإعرابه** : إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، طبعة : عالم الكتب – بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٣٦-**مفاتيح الغيب:** فخر الدين محمد ابن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت: ٦٠٦هـ)، طبعة : دار الكتب العلمية – بيروت – ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م .

٣٧-**النكت والعيون:** أبو الحسن علي ابن محمد ابن محمد ابن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ) تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

ثالثًا: الحديث وعلومه

١- **الأذكار**: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

٢- **أنوار البروق في أنواء الفروق:** أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس ابن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت: ٦٨٤هـ)، عالم الكتب- بدون طبعة وبدون تاريخ.

٣- **سنن أبي داود** : أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ) ، طبعة : المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

٤- **سنن الترمذي** : محمد ابن عيسى بن سَوْرة ابن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، طبعة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٥- **شعب الإيمان:** أحمد ابن الحسين ابن علي ابن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، صاحب الدار السلفية ببومباي– الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٦- **المجتبى من السنن= السنن الصغرى للنسائي:** أبو عبد الرحمن أحمد ابن شعيب ابن علي الخراساني، النسائي (ت:٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٧- **صحيح مسلم" المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"**: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت:٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٨- **المعجم الأوسط** : سليمان ابن أحمد ابن أيوب ابن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، طبعة : دار الحرمين – القاهرة.

٩- **الموافقات:** إبراهيم ابن موسى ابن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت:٧٩٠هـ) تحقيق: أبو عبيدة مشهور، دار ابن عفان، الطبعة الأولى١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

رابعًا: كتب التراجم والأعلام

١- **أعلام العراق للأثري "سيرة الإمام الكبير الآلوسي"** : محمد بهجة الأثري، طبعة الدار العربية للموسوعات- بيروت، الأولى: ١٤٢٢ هـ.

٢- **البداية والنهاية:** أبو الفداء إسماعيل ابن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي (ت:٧٧٤هـ)، طبعة : دار هجر، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣- **تاريخ بغداد:** أبو بكر أحمد ابن علي ابن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، طبعة: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م .

٤- **دراسات في تاريخ الدولة العباسية:** د. حسن باشا، دار النهضة العربية، ١٩٧٥م.

٥- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة:** الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن علي ابن محمد العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، طبعة: مجلس دائرة المعارف العثمانية، سنة: ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

٦- **سير أعلام النبلاء:** شمس الدين أبو عبد الله محمد قَايْماز الذهبي (ت : ٧٤٨هـ) طبعة : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .

٧- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب:** عبد الحي ابن أحمد ابن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي،(ت:١٠٨٩هـ)، طبعة : دار ابن كثير، دمشق – بيروت ، الطبعة : الأولى ، سنة : ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٨- **طبقات الحفاظ = تذكرة الحفاظ** : شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد ابن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ، طبعة : دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

٩- **طبقات الشافعية:** تاج الدين عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ) ، طبعة : هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ، سنة : ١٤١٣هـ .

١٠-**طبقات المفسرين:** أحمد ابن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (ت: ق ١١هـ) طبعة: مكتبة العلوم والحكم – السعودية ،الطبعة: الأولى ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م .

١١-**طبقات المفسرين** : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، طبعة : مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى : ١٣٩٦ هـ .

١٢-**طبقات المفسرين** : محمد ابن علي ابن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت: ٩٤٥هـ) ، طبعة : دار الكتب العلمية – بيروت.

١٣-**العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم** : طاش كبرى زاده (ت: ٩٦٨هـ)، طبعة : دار الكتاب العربي – بيروت ، سنة : ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .

١٤-**غاية النهاية في طبقات القراء** : شمس الدين أبو الخير ابن الجزري ، محمد ابن محمد ابن يوسف (ت: ٨٣هـ) طبعة: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الأولى ، سنة : ١٣٥١هـ.

١٥-**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:** مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت: ١٠٦هـ) الناشر: مكتبة المثنى-بغداد(دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)١٩٤١م.

١٦-**اللباب في تهذيب الأنساب:** أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، دار صادر – بيروت.

١٧-**لسان الميزان:** أبو الفضل أحمد ابن علي ابن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) طبعة: دار البشائر الإسلامية ، الطبعة: الأولى، سنة : ٢٠٠٢م.

١٨-**محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية" الدولة العباسة"**: للشيخ محمد الخضري بك، تحقيق/ محمد العثماني، دار القلم، الطبعة الأولى سنة: ١٩٨٦م.

١٩-**المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر:** أبو المعالي محمود شكري ابن عبدالله ابن محمود الألوسي (ت:١٣٤٢هـ)، طبعة: الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

٢٠-**معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب:** شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الله الرومي الحموي (ت:٦٢٦هـ)، طبعة: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢١-**معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر** لـ/ عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الأولى، سنة:١٩٨٨م.

٢٢-**ميزان الاعتدال في نقد الرجال:** شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد ابن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م.

٢٣-**نظم العقيان في أعيان الأعيان:** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، طبعة: المكتبة العلمية – بيروت .

٢٤-**نيل الابتهاج بتطريز الديباج:** أحمد بابا ابن أحمد بن الفقيه التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس (ت:١٠٣٦هـ) عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد الهرامة، دار الكاتب، طرابلس– ليبيا الطبعة: الثانية،٢٠٠٠م.

٢٥-**الوافي بالوفيات:** صلاح الدين خليل بن أيبك ابن عبد الله الصفدي (ت:٧٦٤هـ)، طبعة: دار إحياء التراث– بيروت ، سنة:١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م

٢٦-**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** : أبو العباس شمس الدين أحمد ابن محمد ابن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ) ، طبعة : دار صادر – بيروت.

خامسًا: اللغة والمعاجم والبحث العلمي

١- **الأغاني:** لأبي فرج الأصفهاني، طبعة دار صادر بتحقيق د. إحسان عباس ود. إبراهيم السعافين والأستاذ بكر عباس.

٢- **التعريفـــات:** علـي ابـن محمـد ابـن علـي الـزين الشـريف الجرجـاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيـق: ضـبطه وصـححه جماعـة مـن العلمـاء بإشـراف الناشر- دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣- **شرح شافية ابن الحاجب للرضي مع شرح الشواهد للبغدادي:** رضي الدين محمد ابن الحسن الاستراباذي النحوي (:٦٨٦هـ)، طبعة دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

٤- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم:** نشوان ابن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت- لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٥- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:** أبو نصر إسماعيل ابن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٣هـ)، طبعة: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م.

٦- **طرق البحث العلمي:** سعد عجيل مبارك الدراجي، وسعد إبراهيم الشويشين، دار: سعد عجيل مبارك الدراجي بنغازي- ليبيا، الطبعة الأولي

٧- **لسان العرب:** محمد ابن مكرم ابن على ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ) ، طبعة: دار صادر - بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .

٨- **المعجم الوسيط :** إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات، حامد عبد القادر . محمد النجار ، طبعة : دار الدعوة ، تحقيق : مجمع اللغة العربية .

٩- **مجمل اللغة:** أحمد ابن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.